



الآن يبعون

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس الحادي عشر

قوة الله تعالى وقدرته
وكبريائه وجلاله وغلبته،
وإثبات صفات الذات.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الحديث الحادي عشر

يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ رواه البخاري مختصراً، ومسلم -رحمه الله- [رواه البخاري: ٧٤١٢، ومسلم: ٢٧٨٨].
وجاء في حديث آخر: يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ [رواه البخاري: ٤٨١٢، ومسلم: ٢٧٨٧].

شرح الحديث الحادي عشر

وهذا حديث عظيم من أحاديث عظمة الله -تعالى-، فيه بيان قدرته وقوته وكبريائه وجلاله، وخضوع المخلوقات له بأسرها، وأنه قهرها، وأنه سبحانه وتعالى ملكها، وأنه يفعل فيها ما يشاء، وأنه طوى السماوات والأرضين طواها طيا سبحانه، وأنه القاهر فوق عباده، وأن كل شيء تحت قهره وقدرته.

شيء تحت قهره وقدرته.

وهذا دليل على ربوبيته سبحانه، وأنه يجب أن يعبد وحده لا شريك له، فهو المستحق للعبادة دون سواه، ومن عظمته تعالى أن السماوات والأرض وما بينهما بالنسبة إلى الله شيء صغير حقير، وهذه السماوات والأرضين في كف الرحمن أصغر من الخردلة في يد أحدنا؛ كما قال ابن عباس -رضي الله عنه-: "ما السماوات السبع والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم"

[الإبانة الكبرى، لابن بطّة: ٧ / ٣٠٨].

قال ابن القيم -رحمه الله-:

بل قولهم (يعني أهل السنة)

إن السماوات العلا في كف خالق هذه الأكوان

حقًا كخردلة تُرى في كف ممسكها تعالى الله ذو السلطان

وجاء في بعض روايات الحديث: أن النبي ﷺ ذكر على المنبر، قال:

يأخذ الله سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الملك، ويقبض

أصابعه ويبسطها يعني النبي ﷺ أنا الملك "حتى نظرت إلى المنبر

يتحرك من أسفل شيء منه" يقول ابن عمر الراوي يقول النبي ﷺ لما

حدث بهذا الحديث على المنبر: "نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ؟" [رواه مسلم: ٢٧٨٨] يعني اهتز المنبر، والنبي ﷺ فوقه يقول: ((يأخذ الله سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الملك، والنبي ﷺ جعل يقبض أصابعه ويبسطها.

هذا فيه بيان أن الله يقبض السماوات والأرضين بيده قبضاً حقيقياً، لماذا كان ﷺ على المنبر يقبض أصابعه ويبسطها؟ إشارة إلى أن الله يقبض السماوات والأرض قبضاً حقيقياً بيديه - سبحانه -؛ ولا مجال لأن يقال: إن هذا تشبيه وهذا تجسيم، وأن النبي ﷺ يعلم ونحن نعلم بأن قبضة الرحمن غير قبضة البشر، لكن لإثبات القبض الحقيقي النبي ﷺ ما اكتفى بالكلام فقط، وإنما قبض أصابعه وبسطها على المنبر، واهتز المنبر من هول ما يحكي ﷺ، حتى قال ابن عمر: "جعلت أقول في نفسي أساقط هو برسول الله ﷺ؟" [رواه مسلم: ٢٧٨٨] يعني اهتز المنبر، والنبي ﷺ فوقه يقول: ((يأخذ الله سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الملك، والنبي ﷺ جعل يقبض أصابعه ويبسطها.

هذا فيه بيان أن الله يقبض السماوات والأرضين بيده قبضاً

حقيقيا، لماذا كان ﷺ على المنبر يقبض أصابعه ويبسطها؟ إشارة إلى أن الله يقبض السماوات والأرض قبضا حقيقيا بيديه - سبحانه-؛ ولا مجال لأن يقال: إن هذا تشبيه وهذا تجسيم، وأن النبي ﷺ يعلم ونحن نعلم بأن قبضة الرحمن غير قبضة البشر، لكن لإثبات القبض الحقيقي النبي ﷺ ما اكتفى بالكلام فقط، وإنما قبض أصابعه وبسطها على المنبر، واهتز المنبر من هول ما يحيي ﷺ، حتى قال ابن عمر: "جعلت أقول في نفسي أساقط هو برسول الله ﷺ" [رواه مسلم: ٢٧٨٨].

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر:

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

[الزمر: ٦٧].

ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده ويحركها، يقبل بها ويدبر، يمجّد الرب نفسه، هذا كلام النبي ﷺ الآن كلام الراوي ابن عمر انتهى يقول ابن عمر: ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده ويحركها يقبل بها ويدبر، ثم حكى لفظ النبي ﷺ بالنص قال:

يمجد الرب نفسه، أنا الجبار-يعني لما يقبض الأرضين والسموات لما يقبضها بيديه ماذا يقول وهو يقبضها، يقول: ممجدا نفسه:- أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، يقول ابن عمر: فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: ليخرن به. [رواه الإمام أحمد: ٥٤١٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٣١٩٦].

فإذا لما سمعت أعواد المنبر وخشب المنبر الكلام ما استطاع أن يثبت، فجعل المنبر يهتز، وانفعالات الجمادات مع كلام الله ورسوله كثير:

وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ

[الإسراء: ٤٤].

وكان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر وترك الجذع، الجذع حن كما يحن الصبي.

على أية حال: انفعال الجمادات مع الآيات أو مع كلام النبي ﷺ هذا كثير، لكن الشاهد الآن كيف أن المنبر جعل يهتز حتى خشي الصحابي أن يتحطم، والنبي ﷺ يخر من فوقه، يسقط من هول ما سمع المنبر، والنبي ﷺ وهو يقبض يديه ويبسط، يقول فوقه: **يمجد الرب نفسه، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم.**

طي الله للسموات والأرض يوم القيامة بيديه

طيب قوله ﷺ: يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى الرواية الأولى ما هو الطي؟

الطي معروف في اللغة، الطي: ضم الشيء بعضه إلى بعض، جمع الشيء بعضه إلى بعض، فطيه: جمعه، أن يجمع بعضه على بعض، أو بعضه إلى بعض، وأن يلف.

إذن: الضم والجمع واللف هو الطي؛ معروف في اللغة كما في "لسان العرب" وغيره، وهذا الطي الذي يكون يوم القيامة طي حقيقي، نؤمن به على حقيقته، السموات كبيرة وواسعة والله يطويها:

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ

[الأنبياء: ١٠٤].

كيف تطوى الكتب وتجمع؟

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ

[الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالى:

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ

[الزمر: ٦٧].

إذن، قوله:

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ

[الزمر: ٦٧].

هو كقوله تعالى:

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ

[الأنبياء: ١٠٤].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "يطوي الله السماوات السبع بما فيها من الخليقة" يعني فيها ملائكة وفيها أشياء عظيمة، والأرضين السبع بما فيها من الخليقة، يطوي ذلك كله بيمينه، يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة، كيف حبة الخردل في كف أحدنا، طبعاً هذا مجرد للتوضيح والتقريب وإلا هي في يد الرحمن أصغر من ذلك، لكن لأجل التقريب والتوضيح، يقول: كخردلة في يد أحدكم وإلا هي

بالنسبة ليد الرحمن أقل من ذلك -سبحانه-، وهذا من أعظم الأحاديث في عظمة ربنا -سبحانه-، يعني أن الله يطوي السماوات والأرضين على اتساعها وعلى عظمها كما تطوى الصحيفة التي يكتب فيها، يعني نحن إذا كتبنا الآن في ورقة وطويناها، يعني كل هذه السماوات والأرضين بيده -سبحانه- تطوى طياً كما طي الورقة، كيف نحن نطوي الورقة بكل يسر وسهولة نطويناها، والله يطوي السماوات والأرضين بما فيها من الخليفة بيديه -سبحانه-، شيء يعني سبحان الله العظيم العظمة الإلهية هذه شيء لو أدرك البشر، يعني أدرك الحقيقة تغيرت تصرفاتهم نحورهم، يعني لا في الطاعة ولا في المعصية كان طاعتهم صارت أكثر، وكان يعني من يتجرأ أن يعصي الرب الذي يطوي السماوات والأرضين بما فيها من الخليفة كلها بيده، يعني إيش هذه الخلائق كلها وهذه؟ فمن الذي يتجرأ على حربه ومعصيته.

والذين يحاربونه الآن، ويحاربون شرعه ودينه الآن، ما قدروا الله حق قدره، وإلا لو يدركون ذلك، يعني هل يتجرؤون على حربه؟ وهل يتجرأ العصاة على معصيته؟ وهل يصبر أرباب الكبائر أو أصحاب الفجور على محاربة ربهم؟ المرابي يعني لما يسمع:

فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

[البقرة: ٢٧٩].

يرابي وهو يعلم أن الله يقبض السماوات والأرضين كطي السجل للكتب؟

طيب هذه السماوات فيها نجوم وكواكب وشمس وقمر وخلائق عظيمة كلها يطويها طيا، فتزول عن أماكنها، تزول عن أماكنها كلها، خلاص تتبعثر، يعني الطي هذا ما الذي سيفعل بالسماوات الطي، خلاص أفلاك وشموس وكواكب ونجوم كلها تتبعثر وتذهب تضمحل، قال تعالى:

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ

[الأنبياء: ١٠٤].

يعني في الآية:

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ

[الأنبياء: ١٠٤].

يعني مثلما بدأنا الخلق أول مرة، كيف كان؟ لا شيء، ما في سماوات وما في أرض، أول ما بدأ الخلق قبل أن يخلق ما في سماوات ولا في

في أرضين، فيطوي الله السماوات والأرضين بيديه، ويقول: أنا الملك، قال:

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ

فراحت السماوات وراحت الأرضين:

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ

ما كانت شيئاً، والبشر هؤلاء؟ الذين فيها وحتى الملائكة كله يموت، ما يبقى أحد، إذا طواها خلاص وما يبقى إلا الله، لذلك يقول الله لما يطوي السماوات والأرضين:

لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟

فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه بنفسه:

لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

[غافر: ١٦].

فهؤلاء الجبابرة والعتاة والفراعنة والطغاة، يعني ما يعقلون لا يعلمون هل اتعظوا: يوم يطوي الله السماوات والأرضين بيديه، ماذا لهم أصلاً؟ أين قوتهم؟ أين ملكهم؟ أين سلطانهم؟ أين جبروتهم؟

أين أسلحتهم؟ راحت ذهب

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ

[الأنبياء: ١٠٤].

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ

[الرحمن: ٢٦-٢٧].

قال تعالى:

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ

[الأنبياء: ١٠٤].

كما ابتدأنا خلقهم ولم يكونوا شيئاً، كذلك نعيدهم بعد موتهم، لا شيء،

وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ

[الأنبياء: ١٠٤].

يعني هذا الإفناء وهذا الطي وهذا الذهاب بالخلق، يعني يذهب الله بهم، بالسموات والأرضين وبالخلقة كلها:

وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ

[الأنبياء: ١٠٤].

سيحدث حقا ويكون، وسينفذ كما وعدنا، بكمال قدرة الله، لا تمتنع عليه الأشياء، ذكر ذلك السعدي في تفسيره والشنقيطي في "أضواء البيان" وغيرهم من المفسرين.

إثبات اليمين لله والأصابع والقبضة

الحديث هذا وهذه الروايات تدل على إثبات صفة اليمين لله تعالى-، وأن لله يدين عظيمتين تليقان به -سبحانه-، ليست كأيدي المخلوقين، ولا أصابعه كأصابع المخلوقين، ولا قبضته كقبضة المخلوقين، شيء لا يمكن للعقل أن يتصوره، ولا أن يدركه: **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** [طه: ١١٠].

وهذان اليدان للرب اللتان تطويان سماواته وأرضيه تطويانها؛ إنها عظيمة، ونحن نجري الصفات على ظاهرها لا ننفيها، ولا نتأول فيها تأولات فاسدة، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نقول: اليد هي القدرة، وما له يد حقيقية كما يفعل بعض المحرفة المنحرفة، وإنما

نقول له: يدان حقيقتان تليقان به، عظيमतان، يطوي بهما سماوته وأرضه طيا، ويجمع بعضها إلى بعض، ويزوي بعضها إلى بعض، فيذهب ما فيها، ولا نشبه صفات الله بصفات خلقه، لا السمع ولا البصر ولا اليدان، ولا.. ولا.. ونثبتها له كما أثبتنا لنفسه، ونقول: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** [الشورى: ١١]، فجمع الله في هذه الآية: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** بين نفي أمرين: التمثيل **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ونفي التشبيه، وإثبات الصفات، قال: **وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**.

إذن، لا بد أن نثبت ما أثبتته الله لنفسه دون تمثيل أو تشبيه، لا نشبهه بخلقه ولا نمثل نقول: هي مثل كذا، ومثل كذا، ونخترع من عندنا، ما نقول على الله بلا علم، قال: **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** [المائدة: ٦٤]، وقال في إثبات يديه الشريفتين: **{مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِيدِيَّ}** [ص: ٧٥].

وقد تنوعت النصوص الشرعية في إثبات اليدين لله، وإثبات الأصابع، وإثبات القبضة؛ مثل أن الله يخرج من النار حديث القبضة المشهور بقبضته يقبض قبضة من النار ويخرجهم،

هؤلاء بقايا أهل التوحيد من أصحاب الكبائر والمصرين والمجاهرين، يعني آخر من يخرج من النار، آخر دفعة تخرج من النار من الموحدين؛ لأنه لا يبقى فيها موحد، النار ما يبقى فيها موحد، لكن هؤلاء الموحدين الذين استوجبوا دخول النار وشاء الله أن يدخلوها في النهاية بعدما يشفع النبيون وتشفع الملائكة ويشفع الصالحون يقبض الله بقبضته من النار من شاء أن يبقى من أهل التوحيد إلى آخر خلق منهم، يعني فيخرجهم، فقد تنوعت النصوص الشرعية في إثبات اليدين لله -تعالى- وإثبات الأصابع لهما، وإثبات القبض بهما وتثنيتهما، يعني أنهما يدان، وأن إحداهما يمين، والأخرى شمال، لكنهما في القوة سواء، يعني نحن البشر بعضنا اليد اليمنى عنده أقوى من اليسرى، وبعضنا الشمال عنده أقوى من اليمين، والله كلتا يديه يمين في القوة، فنثبت أن له يدان يمين وشمال، لكن سواء في القوة والعطاء، **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** [المائدة: ٦٤] -سبحانه-، وأن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وأنه -تعالى- يتقبل الصدقة من الكسب الطيب بيمينه فيريها لصاحبها، يعني: ينمىها يثمرها لصاحبها، وأن المقسطين على منابر من نور عن يمين

الرحمن، وكلتا يديه يمين؛ كما جاء في النصوص الشرعية، نؤمن بذلك كله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف، يعني ما نخترع من عندنا كيفية، ما نصف كيفية، وما وردت الكيفية، هناك كيفية لا نعلمها، لكن ما نخترع من عندنا كيفية، ونقول: هي كذا، وهي كذا، وإنما نتكلم نثبت كما ورد.

ونعتقد أن ما يقوله البعض من التحريف والتأويل الباطل أنه باطل، نعتقد أنه باطل، لما يقول بعضهم: اليد القدرة، والطي والقبض التسخير والقهر، لكن لا يثبتون طيا حقيقيا، ولا أنه يجمعها، أو يزوي بعضها إلى بعض، ما يثبتونه.

نقول: هذا ضلال مبين، لماذا لا تثبتون ما أثبتته الله؟ لماذا لا تثبتون ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال؟

اثبتوا له الأسماء كما أثبتها، هو سمي نفسه أنتم تعرفون الله أكثر من نفسه؟ هو سمي نفسه كذا، هو أخبر عن صفاته بكذا وكذا، وأخبر عن أفعاله بكذا وكذا، قال: يطوي السماوات والأرض يعني يطوي طيا حقيقيا، فكما أننا لا نحرف في الأسماء كذلك لا نحرف الصفات كاليد والسمع والبصر لله، ولا نحرف في الأفعال يطوي، يعني يطوي، انتهينا، ونعرف ما هو الطي في اللغة الجمع والضم،

فالسماوات والأرض في يد الله وفي قبضته لا يفوت منها شيء، ولا يخفى عن علمه منها شيء، ولا يعزب عن قدرته منها قليل ولا كثير؛ كما قال ابن هبيرة -رحمه الله- في "الإفصاح".

كمال ملك الله وشموليته للدنيا والآخرة

وقوله ﷺ: ثم يقول أنا الملك هذا الكلام منه -سبحانه- بيان لعظمته وثناء منه على نفسه، وتنبيهها على ملكه الكامل، وسلطانه الشامل. وقوله: أنا هذه معرفة، والملك معرفة، وإذا كان المبتدأ والخبر كلاهما معرفة، فإن ذلك من طرق الحصر، يعني أنا الملك لا ملك غيري، هذا معناه، فالذي له الملكية المطلقة والسلطان التام هو الله لا ينازعه في ذلك أحد.

طبعاً هذا الملك ليس مختصاً به فقط يومئذ؛ حتى في الدنيا ملك الله في الدنيا شامل كامل، وملك غيره محصور ناقص مسبوق بعدم ملحوق بفناء، لكن ملك الله تام شامل، أول آخر -سبحانه-، فهو الملك في الدنيا والآخرة، وإذا كان في الدنيا ينازعه من ينازعه كفرعون:

أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ [الزخرف: ٥١]؟ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي [القصص:

٣٨]، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى [النازعات: ٢٤].

إذن، نازعه في الملك -سبحانه- في الدنيا من نازعه كالنمرود وفرعون، ففي الآخرة لا يستطيع أحد أن ينازعه، والمنازعة التي في الدنيا منازعة باطلة، يعني لو قال فرعون: أنا ربكم الأعلى! أنا الملك! أنا كذا، هل هو حقيقي؟ هل هو ربهم الأعلى؟ هو مربوب الله بقدرته أن يزيله في أي وقت يريد، وقد أغرقه بالماء، أغرقه في البحر، ولا قدر أن يدفع عن نفسه شيئاً، وراح ملك فرعون: فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ [الذاريات: ٤٠] ما أغنى عنه ولا شيء.

وقوله في سورة الفاتحة: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، وفي القراءة الأخرى المشهورة السبعية الصحيحة: **مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ** [الفاتحة: ٤]، في بيان تمام ملك الله بيان ملكه تمام ملكه، ملك يوم الدين، ولا ملك يومئذ غيره يوم الدين.

قال ابن كثير-رحمه الله:- وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، فهو مالك الدنيا والآخرة؛ لأنه قد تقدم الإخبار عن نفسه بقوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وهذا يشمل كل العوالم في الدنيا وفي الآخرة، قال: وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين؛ لأنه

لا يدعي أحد هنالك شيئا، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه؛ كما قال يوم: **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ**

[النبا: ٣٨]، وقال تعالى: **وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا**

هَمْسًا [طه: ١٠٨]، وقال: **يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ** [هود: ١٠٥].

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: **"مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ : لا يملك أحد في**

ذلك اليوم معه حكما"، وقال: **ويوم الدين: يوم الحساب للخلائق وهو**

يوم القيامة يدينهم بأعمالهم.

لماذا سمي يوم القيامة يوم الدين؟

الدين ما معناها؟ يدينهم بأعمالهم، يحاسبهم إن خيرا فخير، وإن شرا

فشر إلا من عفا عنه، هذا كلام ابن عباس -رضي الله عنهما- كما نقله

أهل التفسير كالطبري وابن كثير، قال ابن كثير -رحمه الله-: وكذلك قال

غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر، يعني واضح، فظهور

ملكوته وملكه وسلطانه إنما يكون في ذلك اليوم؛ لأن الله -تعالى- ينادي:

مَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ؟ فلا يجيب أحد، فيقول تعالى مجيبا نفسه بنفسه:

لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ [غافر: ١٦].

ففي الدنيا -كما قال الشيخ ابن عثيمين في تفسيره للفتحة-: يظهر

ملوك يعتقد، -يعني رعيته- أنه لا مالك إلا هم، ولكن الحقيقة أنهم

مملوكون هم وملكهم لله.

الكبرياء والعظمة لله وحده

وقوله تعالى: **أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟** الجبارون: الظلمة، المتعالون على الناس بالقهر والغلبة والظلم والبطش بغير حق، هذا الجبار؛ فيقول الله يوم القيامة: **أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟** المتكبرون المتعالون على الناس بجاههم وسلطانهم وأموالهم وأنسابهم، يتكبرون على الناس: بنسب، بمال، بقوة، وهكذا، كما ذكر ذلك صاحب "مراقبة المفاتيح" وكما في "إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد".

وفي حديث: **الكبر بטר الحق، وغمط الناس** [رواه مسلم: ٩١] ما يفيد تعريف ما هو الكبر بטר الحق، يعني جحد الحق وغمط الناس، ظلم الناس انتقاص الناس، فبطر الحق دفعه وإنكاره وجحده ترفعا وعلوا وكبرا، وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم وانتقاصهم؛ كما في النووي على شرح مسلم.

هنا الاستفهام أين ملوك الأرض؟ أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ أين ملوك الأرض؟ هذا الاستفهام ما هو؟ الله يعلم أين هم، وأين ذهبوا وماتوا كما يقول العامة وشبعا موتا، والله يعلم. إذن، هذا السؤال أين ملوك الأرض؟ ما هو؟ هذا سؤال تحدي؛ لأن

السؤال أنواع: في سؤال لمعرفة الجواب استفهامي، سؤال استنكاري، سؤال تعجب، في سؤال تحدي، أين ملوك الأرض؟ هذا سؤال تحدي، أين الملوك الذين كانوا في الدنيا لهم السلطة والقوة والتجبر والتكبر؟ قال الله: **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** [الأنعام: ٩٤] تأتي يوم القيامة ما معك شيء؛ لا بيت لا خدم لا حشم لا جنود ما في **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** [الأنعام: ٩٤].

أما المتكبرون، فقد جاء في الحديث الصحيح: أن الله يحشرهم كالذر-كالنمل الصغار- يطأهم الناس بأقدامهم، فالمتكبرون يوم القيامة حجمهم ما هو مثل حجم بقية الناس، الكل يحشرون، أما المتكبرون يرون في أرض المحشر، يعني كالذر، -سبحان الله- يعني كيف يجازيهم بنقيض ما كانوا يفعلون، كانوا يتعاضمون في الدنيا، يتعاضمون يتكبرون، في الآخرة يأتون أصغر حجمًا من بقية الناس، يحشر المتكبرون كالذر-النمل الصغار- يطأهم الناس بأقدامهم.

سبحان الله إن في ذلك لآية، يعني يطأهم الناس بأقدامهم، صغار كذا يطأهم الناس بأقدامهم، قال ﷺ: **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال الحجم حجم نملة، والصورة صورة رجل، صورة إنسان، أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان في أثناء حشرهم يأتهم الذل من كل مكان** [رواه الترمذي: ٢٤٩٢، والبخاري في الأدب المفرد: ٥٥٧، وهو حديث حسن].

فإذن، يكونون في غاية المذلة والنقيصة يطأهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله، كما قال صاحب "مرقاة المفاتيح".

كلتا يديه يمين

وقوله ﷺ: ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ هذه لفظة بشماله حتى صار في نقاش عند شراح الحديث في ثبوتها، فمنهم من أثبتها، وهي رواية مسلم في صحيحه.

ومنهم من قال: إن اللفظة الثابتة بيده الأخرى، فقالوا: "إن لفظة بشماله شاذة" فأجمع أهل السنة والجماعة على أن لله -تعالى- يدين، وأن إحدى يديه يمين، ثم حصل النظر عندهم هل الأخرى توصف بالشمال أم لا؟ لكن حتى الذين أثبتوا الشمال لله قالوا: إن كلتا يديه يمين في القوة والعطاء، وأن الشمال ليست أقل من اليمين في حقه يداه كاملتان، حتى لو قلنا يمين وشمال يداه كاملتان -سبحانه-. طيب من الذي أثبت الشمال لله؟

الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، أبو يعلى الفراء، وغيرهم، حتى من القريبين للإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- وقال غيرهم: بل كلتا يديه يمين، ولم يثبتوا الشمال؛ منهم ابن خزيمة -رحمه الله تعالى-.

فإذن، هذان قولان عند أهل السنة معروفان النتيجة سواء النتيجة أن لله يدان كاملتان سواء في العطاء والقوة، هذه ما في خلاف عليها. بقينا في قضية أنه هل يقال له يمين وشمال أم كلاتهما يمين؟ هذا الذي صار فيه نقاش، وهذه مسألة سهلة؛ لأن النتيجة واحدة في أثبات اليدين، خلاص أثبتنا اليدين سواء في القوة والعطاء متفق عليها خلاص، فما بقي هذا سهل، قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: إذا كان لفظة: شمال، محفوظة، فهي عندي لا تنافي **كلتا يديه يمين** في رواية مسلم؛ لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كاليد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنى، فقال: **كلتا يديه يمين** أي ليس فيها نقص، يعني يقول إذا كانت لفظة شمال ثابتة فلا يعارضها لفظة كلتا يديه يمين، لماذا؟ لأن المقصود **بكلتا يديه يمين** ليس نفي الشمال، لكن إثبات أنهما سواء في القوة والعطاء، قال الشيخ: وإن لم تثبت، فلن نقول بها، خلاص سنقول كلاتهما يمين، هذا في "القول المفيد".

قبض الله للأرض وطيه للسماء

وقوله ﷺ في الحديث الآخر: **يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه** نلاحظ أن الأرض قال: يقبض)) والسماوات قال: يطوي فما الفرق بين يقبض ويطوي؟

هذه طبعا هذا الفرق لا بد من الرجوع فيه إلى اللغة، القبض في اللغة أخذ الشيء باليد وجمعه، هذا القبض، قبضت على الشيء قبضت عليه، قبض ما هو القبض الأخذ، أخذت الشيء وجمعته.

والطي جمعه ولفه، وزوي بعضه إلى بعض.

بينهما فرق، لكنه ليس كبيرا، لكن في فرق دقيق.

طيب إذن، الله من أفعاله: يقبض ويطوي، كما أنه يقبض ويبسط أفعال الله كثيرة، هنا في حديث القيامة نثبت له الفعلين: القبض والطي، وهذه من صفات الله الفعلية التي تتعلق بمشيئته وإرادته؛ كالمجيء، والنزول، والرضا، والغضب، وغيرها.

هذه الصفات الفعلية ثابتة بآيات كثيرة، وأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، ويجب أن نؤمن بها، ويحرم علينا أن نحرفها، أو أن نتأولها على غير معناها الحقيقي، وقد دل على ثبوت ذلك حتى العقل، فإنه لا يمكن لمن نفاها إثبات أن الله هو الخالق لهذا الكون المشاهد؛ لأن الفعل لا بد له من فاعل، والفاعل لا بد له من فعل، فالله لما خلق آدم قال أخبر أنه خلقه: **لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** [ص: ٧٥]، فالله له أفعال تليق به؛ كالنزول، والمجيء، والقبض، والطي، والبسط، وغيرها من الأفعال، وهو حي قيوم، فعال لما يريد، فلا بد من إثبات هذه الأفعال الاختيارية لله، وهو على كل شيء قدير.

وفي الآية: **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ** [الزمر: ٦٧]

هذه فيها إثبات القبض يوم القيامة، **وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** [الزمر: ٦٧] فيها إثبات الطي.

إذن الآية توافق الحديث، والحديث يوافق الآية، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** [يونس: ١٨]، هؤلاء المشركون ما قدروا الله حق قدره لما عبدوا معه غيره، صرفوا أنواعًا من العبادة لغيره، والكل تحت مشيئته وقدرته -سبحانه- وقهره.

تفرد الله بالملك المطلق

قوله: ثم يقول: **أنا الملك، أين ملوك الأرض؟** أي: أنه تعالى ينفرد بالملك، فهو الملك حقًا لا منازع له، ولا ظهير ولا شريك ولا معين، ولا يحتاج إلى ذلك -سبحانه-، وليس له ولد.

في ذلك اليوم عندما يقبض الأرض بيده ويطوي السماوات بيمينه، ويصبح كل شيء في قبضته -سبحانه- ينادي الذين ينازعون في الدنيا ملكه، ويتعدون على سلطانه من المتكبرين والمتجبرين ينادي: **لمن الملك اليوم؟** يناديهم بما يتضمن توبيخًا وتهديدًا وتحديًا: أين ملوك الدنيا؟ ولا يستطيعون الإجابة أصلاً، لا منعا ولا رداً، ولا قوة لديهم، ذهبوا، فناء، وبقيت التبعات والذل والحسرات.



الآن يبعون

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس الثاني عشر

قدرة الله وقدره

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الحديث الثاني عشر

عن عبد الله بن مسعود قال: "جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد" يعني عندنا في الكتب "إنا نجد في كتابنا" وكتاب الأحبار: التوراة، اليهود كتابهم التوراة "إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأراضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر" يعني الآن الحبر هذا جاء بخبر عجيب يقوله للنبي ﷺ، ترى وجدنا عندنا في كتابنا كذا كذا كذا، "فضحك النبي ﷺ تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

يُشْرِكُونَ [الزمر: ٦٧] [رواه البخاري: ٤٨١١، ومسلم: ٢٧٨٦].

شرح الحديث الثاني عشر

الحبر العالم عند اليهود.

وقوله: "إنا نجد" قلنا في التوراة، كما في كتاب "القول المفيد على كتاب التوحيد".

وهذا الحديث يدل على عظمة الله، وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته. وقد تعرف الله إلى عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته بما يدل على كماله، يعني لو واحد قال الآن: نحن ماذا نستفيد من إخبارنا بهذه التفاصيل؟

فنقول: نستفيد أشياء كثيرة جداً، أي شيء يدل على الله ويعرفك بربك وبعظمته وقوته وقدرته وكماله أليس يزيدك به إيماناً؟ أليس يعظمه في نفسك؟ أليس تكون أطوع له من قبل أن تعرف؟ أليس هذا العلم يزيدك إيماناً؛ فتكون أكثر استجابة لله -تعالى-؟ هذه فوائد دراسة هذا الكلام.

وقد دل الحديث على إثبات الصفات له على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل، وكما قلنا في اليدين سنقول في الأصابع تماماً نثبتها بلا تحريف ولا تكييف، ولا تكييف يعني: ما نخبر بكيفية من عندنا، في كيفية يعلمها نثبت الصفة، لكن لا نشبهه بخلقه، لا نمثله بمثاله،

نقول هو مثل كذا، بشيء لم يخبر به عن نفسه، لا نحرف في المعنى لا نصرفه عن ظاهره، دل الحديث على إثبات الصفات له على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة وأئمتها من تبعهم بإحسان و اقتفى أثرهم على الإسلام والإيمان.

وإذا تأملنا ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي ﷺ ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله، وتصديق من جاء بحق ولو كان من أعدائنا، يعني لو جاء واحد بخبر صحيح الشيطان قال لأبي هريرة علمه أن قراءة آية الكرسي تبعد عنه الشيطان، هل هذا الكلام من الشيطان صحيح وإلا لا؟

صحيح، هل كون المخبر به هو الشيطان يقودنا إلى رده يدفعنا إلى نفيه؟ لا، حتى لو قاله الشيطان ما دام الحق قيلا من أي مصدر كان فلا بد أن نسلم به، ونثبت، فالنبي ﷺ لما جاءه بالخبر واحد من اليهود خبر من أحبارهم النبي ﷺ أقرب ذلك، ما نفاه ولا رده، لأنه جاءه من يهودي، ونعرف أن قلة من اليهود جدا أسلموا من أحبارهم كعبد الله بن سلام أبي يوسف، ولم يقل النبي ﷺ في شيء منها إنه غير مراد، أو شبهه بشيء من المخلوقين، بل إن النبي ﷺ

أقرب الحق، وبلغ الحق، وتلقى الصحابة عن النبي ﷺ ما وصف به ربه من صفات الكمال ونعوت الجلال، فأمنوا بذلك، ونقلوه إلى التابعين وتلاميذهم، ونقله هؤلاء إلى من بعدهم، وعلماء الأمة بلغوه ما كتموه ولا جحدوه، وتلقى ذلك أهل العلم، كما قال تعالى:

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا [آل عمران: ٧].

وكذلك التابعون لهم بإحسان، وتابعوهم والأئمة المحدثون والفقهاء كلهم وصفوا الله بما وصف به نفسه، ما في أحد قال -من هؤلاء المحققين هؤلاء العلماء وعلماء السلف- إن ظاهرها غير مراد، وأن هذا يلزم منه التشبيه، ولا بد أن ننفيها تنزيها لله، ما حصل أبدا، بل صنفوا في رد هذا الكلام المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بين أيدي أهل السنة، هذا كلام الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب حفيد الإمام -رحمه الله- في كتابه "تيسير العزيز الحميد".

فإذن، نثبت لله الأصابع على الوجه الذي يليق به سبحانه، والأصبع حقيقي كاليد يليق بالله.

وهذا الحديث: **إن الله يضع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع إلخ...** يدل على قدرته، وعلى أنه يتصرف يعني وضع

السموات على إصبع واحد من الأصابع يدل على القدرة الكاملة،
التحكم الملك التصرف كل السموات على أصبع، وكل الأرضين على
أصبع، والماء والشجر وسائر الخلق على إصبع؛ يدل على تصرفه
الكامل في خلقه، وعلى سهولة ذلك لا يتعبه ولا يعجزه كل شيء على
الله هين، **هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** [مريم: ٩]، سبحانه.



الآن يبعون

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس الثالث عشر

عظمة الله إذا قضى وتكلم
بالأمر في السماء

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الحديث الثالث عشر

قال النبي ﷺ: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا -للذي قال- الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض الحديث رواه البخاري [رواه البخاري: ٤٨٠٠].

شرح الحديث الثالث عشر

فهذا حديث عظيم جليل من أحاديث عظمة الله، وأنه إذا تكلم بالأمر في السماء، وأمره سبحانه كن: إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فَيَكُونُ [آل عمران: ٤٧]، وسمع أهل السماوات كلامه أرعدوا من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغشي، فإذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش الذين يلونهم بما

قال ربهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتمهم، والملائكة مراتب، وهم سكان السماوات ما من موضع أربع أصابع إلا فيه ملك قائم أو راکع أو ساجد فيسأل بعضهم بعضاً؛ فيخبر الأعلى منهم الأدنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتى ينتهي الخبر إلى السماء الدنيا.

وقد جاء ذلك صريحاً عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رُمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: **ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُمي بمثل هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: **فإنها لا يُرمي بها لموت أحد ولا لحياته** [رواه مسلم: ٢٢٢٩].

شف فائدة العلم أنه ينفي الخرافة والمعتقدات الباطلة، ويضعك -يا أيها المؤمن المسلم- على طريق الوحي علمك من الوحي شيء مؤكد، وهذه الأشياء الخفية الغيبية إذا رمي بنجم في السماء الشهاب هذا العابر ماذا وراءه؟ فأهل الجهل يفسرونه بخرافاتهم، لكن أنت تأخذ السبب من الوحي، فالعلم بالوحي يعطيك الإجابة على السؤال الذي لا يملك جوابه عامة الناس، بل عندهم ربما جهل يؤدي إلى اعتقادات فاسدة أو باطلة، وأنت عندك العلم

اليقيني، فقال ﷺ: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا -تبارك وتعالى اسمه- إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم يعني السابعة حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال: الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا؛ فتخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به ..)) [رواه مسلم: ٢٢٢٩]، يقذفون الخبر إلى أوليائهم ليصل إلى الأرض إلى الكاهن في الأرض، ويرمون بالنجم هم عندما يستمعون في السماء، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق يعني: لو وصل الخبر بدقة استطاعوا أن يوصل الخبر بعضهم إلى بعض قبل الاحتراق قبل أن يحترقوا قبل أن يحترق مصدر الخبر الذي استرق السمع، إذا استطاع أن يلقيه قبل ما يحترق، والذين من بعده نقلوه بدقة حصل على وجهه، وهذا نادر. ومتى لا يخرجون بشيء؟ أو يأتي الخبر كاذباً كذبا خطئاً؟ إذا احترق المصدر الذي استرق السمع قبل أن يلقي ما سمعه أو ألقاه على عجل فأخذه الذي بعده نصف ما سمعه جيداً، وقد يتغير أثناء النقل، كما يحدث من التحريف عند البشر في نقل الأخبار من واحد إلى واحد كلما أطل

السند طالت السلسلة كثرت فرص التحريف، وقد يكذبون، وهذا الغالب، يكذبون هم وكهنة الأرض ويلفقون، لكن لا يخلو أحياناً أن يوجد خبر صحيح بسبب ما تقدم، ولكن كثيراً ما يكذبون أو لا يأخذونه كاملاً أو دقيقاً مثل ما سأل النبي ﷺ ابن صياد سألته هل يدري ما خبأ له؟ تدري ما خبأت لك ابن صياد؟ على الراجح كما قال ابن حجر -رحمه الله- بعد الدراسة الطويلة: أنه دجال من الدجاجلة، وليس الدجال الأكبر، اسمه صافي، يهودي، من يهود المدينة، فالنبي ﷺ قال له: تدري ماذا خبأت لك؟ وكان النبي ﷺ قد خبأ له سورة، هذا له صلة بالشياطين، فقال: الدخ، فالنبي ﷺ قال له: **اخساً فلن تعدو قدرك النبي ﷺ** كان خبأ له سورة الدخان، لكن ما وصلت كاملة، ما وصل إلا النصف، ويبدو احترق المصدر، فابن صياد لما سألته قال: الدخ؛ ما وصلت كاملة، ولذلك قال له ﷺ: **اخساً فلن تعدو قدرك** [رواه البخاري: ١٣٥٤، ومسلم: ٢٩٣٠، ٢٩٣١] يعني مهما بلغت أنت والذي وراءك.

الشاهد: أن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: **فيستخبر بعض أهل السماوات بعضها حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم يعني بالخبر ويرمون**

به يعني بالنجم فيحرقه، قد يلقي الخبر قبل الاحتراق وقد يحترق ولا يلقي، وقد يلقي بعضه، وقد يصل مشوشا، وقد يصل دقيقا، وقد يكذبون.

المهم كما هي القضية المعروفة، قال ابن عباس: ويرمون به فما جاؤوا به على وجهه فهو حق [رواه مسلم: ٢٢٢٩] يعني إذا وصل الخبر صحيحا ولكنهم يقرفون وفي رواية: يقرفون فيه ويزيدون يقرفون يخلطون فيه الكذب قال: ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون حديث ابن عباس رواه مسلم -رحمه الله- في صحيحه [رواه مسلم: ٢٢٢٩].

وقد جاء في تمام حديثنا هذا لما قلنا قبل قليل في أول الحديث جاء قوله ﷺ: فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض يركبون، يركب بعضهم فوق بعض، ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه، يعني: فرق، قال ﷺ: فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقها، وربما ألقاها قبل أن يدركه يعني ألقى الكلمة ثم احترق، قال: فيكذب معها مائة كذبة يعني الناس في الأرض لما يذهبون للكاهن والعراف، وفي كلمة صحيحة أو خبر صحيح وصل من استراق السمع هم يكذبون

معها مائة كذبة أو تسعة وتسعين، وكلما جاءهم واحد من الناس قال: سيحدث في يوم كذا وكذا وكذا، سيحدث كذا وكذا، لأخبار أكثرها كذب، وواحد في المائة صحيح، فيقال يعني: يقول الناس بعدما يأخذوا الأخبار ويتداولونها والواحد في المائة يحصل، ينسى الناس التسعة والتسعين كذبة، ولا يتذكرون إلا الخبر الواحد الصحيح، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء، فالناس مساكين هؤلاء الجهلة الذين يأتون العرافين والكهان كثير منهم سذج ومغفلون، ينسون التسعة والتسعة كذبة، ويتذكرون هذه الواحدة، ويقول بعضهم لبعض: صدق، قال لنا كذا كذا.

إذن، يعلمون الغيب، إذن، يعرفون وهي كلها واحد في المائة من استراق السمع؛ كما قال تعالى: **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ *** **إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ** [الحجر: ١٦ - ١٨]، وقال تعالى: **إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ** [الصافات: ١٠]، أي: محرق.

قوله في الحديث: إن الله إذا تكلم بالكلمة في السماء من الأوامر الإلهية، وهذا من أحاديث العظمة الإلهية كيف يكون وقع الكلام الإلهي على الملائكة، قال: **ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله.**

طبعاً الملائكة الأجنحة عظيمة **مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** [فاطر: ١]، وجبريل له ستمائة جناح، ولما حاول يعني بعضهم واحد من الشباب يعني الخوض في صفات الله أتى به أحد أئمة أهل العلم، فقال له: يا بني: الله يقول عن الملائكة أن لها أجنحة مثنى وثلث ورباع، لو قلت لك: الملك له جناحان تقول: واحد على اليمين وواحد على الشمال، ولو قلت لك: ثلاث، ممكن تقول واحد فوق، وأربع، واحد تحت، والخامس أين تركبه؟ والسادس؟ والعاشر؟، فالشباب هذا تاه، خلاص، قال: هذا عن مخلوق، عن صفة مخلوق، أنت ما استطعت ما استوعب عقلك أين تتركب الجناح رقم كذا الجناح؟ رقم كذا؟ فما بالك بالخالق؟

الشاهد: الملائكة غيب، وصفتهم عظيمة، وجبريل كان له ستمائة جناح سادا الأفق، رآه النبي ﷺ والله قال: **وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ** [التكوير: ٢٣]، رآه على صفته الحقيقية؛ لأن جبريل كان يأتي بصورة آدمي، يأتي بصورة رجل، يأتي بصورة دحية الكلبي، صورة جميلة، لكن مرة رآه فالنبي ﷺ كاد أن يغشى عليه من هول ما رأى، ستمائة جناح سادا الأفق، ينزل من كل جناح من التهاويل من الدروالياقوت، فكاد أن يغشى عليه، شيء عظيم، الملائكة شيء عظيم، خلقوا من

نور، ولهم قوة عظيمة، يعني قرية قوم لوط ضربها بجناحه، يعني قلعتها في السماء، فيرسل الله الملائكة للإهلاك، ويرسل الملائكة لتثبيت المؤمنين، ومحاربة الكافرين، ويرسل الملائكة لأشياء كثيرة.

الشاهد: الحديث يقول: **ضربت الملائكة بأجنحتها** والملائكة أجنحتها متعددة ومتفاوتة **خضعانا لقوله** يعني لما يجي الأمر الإلهي الملك يضرب بجناحه من الرهبة من الخوف، يعني من الخشية **ضربت الملائكة بأجنحتها** خضعانا لقوله فسبب الضرب من خضوعها وخشيتهما تضرب بأجنحتها، فيصدر صوت عظيم، مثل في الحديث، يعني تقريبا للسامعين، قال: كأنه سلسلة على صفوان .

السلسلة، يعني خذها بسلاسل السفن، السلاسل الحديد الضخمة، لو جريت السلاسل الحديد الضخمة على صخر صفوان أملس كيف يطلع الصوت؟

يطلع صوت مضخم، يعني يطلع صوت عظيم، فقرب ذلك للأفهام بهذه الصورة، قال: ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه يعني الصوت، هذا سلسلة على صفوان صوت القول في وقعه على قلوبهم، والصفوان الحجر الأملس الصلب، وليس المقصود تشبيه

صوت الله، **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** [الشورى: ١١].

فالمقصود تشبيه ما يحدث للملائكة من الفزع عندما يسمعون كلامه -تعالى- بفزع من يسمع سلسلة على صفوان، يعني إذا واحد سمع جر السلسلة على الصخر، الصوت الضخم الذي يطلع هذا كيف يسمعه؟ أيش الرهبة التي تكون في نفسه من الصوت هذا الضخم الفخم؟ فكذلك الملائكة يكون في نفوسهم من الخشية من الله، والخضوع لقوله.

طيب هذا الخضوع والخشية تأخذ وقتاً؛ فإذا فزع عن قلوبهم: إذا زال الفزع عن قلوب الملائكة؛ لأن الفزع يعقد الألسنة، إذا زال الفزع عن قلوب الملائكة قالوا: ماذا قال ربكم؟ يسأل بعضهم بعضاً، ويخبر بعضهم بعضاً على النحو السابق، قالوا للذي قال، يعني لأمره تعالى ماذا تقول الملائكة عنه: الحق، فالحق هذا الكلمة، هذه صفة لمصدر محذوف تقديره: قال القول الحق، ماذا قال ربكم؟ فيجيبون: قال القول الحق.

وهذا الجواب الذي يقولونه يحتمل أن يكونوا قد علموا ما قال وقالوا علقوا على هذا إنه الحق، فيكون هذا عائداً إلى الوحي الذي تكلم الله به.

ويحتمل أنهم قالوا ذلك لعلمهم أن الله لا يقول إلا الحق، فلذلك

قالوا هذا لأن الحق من أسمائه، وما يقوله حق، ووعدده حق، ولقاؤه حق، والجنة حق، والنار حق، فقالوا الحق؛ لأنها صفة ربنا كما في "القول المفيد"، وهذا كما قال الله: **حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** [سبأ: ٢٣] فأخبروا بما قال يعني أخبر بعضهم بعضا بما قال -تعالى- من أوامره من غير زيادة ولا نقصان، كما في "تفسير ابن كثير".

عظمة الله وكبريائه

فالله -تعالى- هو العلي الكبير، العلي في ذاته، عال على جميع المخلوقات، وفوق جميع المخلوقات، وله علو القدر: فهو كامل الصفات، وله علو القهر والغلبة لجميع المخلوقات، الكبير في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته، الذي من عظمته وكبريائه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه. ومن كبريائه وعظمته: أن كرسیه وسع السموات والأرض، والكرسي كحلقة في فلاة بالنسبة للعرش.

ومن عظمته وكبريائه: أن نواصي العباد بيده؛ فلا يتصرفون إلا بمشيئته، لا يقدرّون على شيء إلا إذا شاء - سبحانه -، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإرادته.

وحقيقة الكبرياء لا يعلمها إلا هو، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وكل صفة لله فهو أعلم بها.

ومن كبريائه: أن العبادات كلها الصادرة من أهل السماوات والأرض لتعظيمه، والتكبير دلالة على الكبرياء، نحن نقول: "الله أكبر"، كلمة "أكبر" دليل على الكبرياء، ولهذا كان التكبير شعارا للعبادات، فمثلا في الصلاة نقول: "الله أكبر"، عند الصعود: "الله أكبر"، في العبادات الكبار كالعيدين "الله أكبر"، اجتماع الجموع العظيمة، وهكذا في الأمور العظيمة "الله أكبر"



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس الرابع عشر

عظمة الله وعزه وكبرياؤه

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الحديث الرابع عشر

قال ﷺ: العز إزاره، والكبرياء رداؤه؛ فمن ينازعني عذبتة

[رواه مسلم: ٢٦٢٠].

وفي رواية: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري

[رواه أبو داود: ٤٠٩٠، وابن ماجه: ٤١٧، وأحمد: ٧٣٨٢].

وفي رواية: والعزة إزاري؛ فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار

[رواه أبو داود: ٤٠٩٠، وأحمد: ٧٣٨٢، وصححه ابن حبان].

شرح الحديث الرابع عشر

فإن الله عظيم له صفات العظمة والعزة والكبرياء؛ كما قال تعالى:

وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [الجاثية: ٣٧]،

وقال: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ [الرعد: ٩].

وقال: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ

الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [الحشر: ٢٣].

وفي الحديث: وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن [رواه البخاري: ٤٨٧٨، ومسلم: ١٨٠].

فوصف الله -تعالى- نفسه بما وصف هذا، ومن ذلك: أن العز أو العظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، وهذه من صفاته نثبتها له -سبحانه-، ونؤمن بها كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل، يعني: ولا تكييف نكيفه من عندنا، هناك كيف لكن لا يعلمه إلا هو، وليس معنى الحديث: أن لله إزارا ورداء من جنس ما يلبسه الناس -تعالى الله-، الناس يلبسون من جلود الأنعام ومن القطن والصوف والكتان، بل نص الحديث ينفي هذا المعنى الفاسد؛ لأنه قال: العظمة والكبرياء، فرداء الله ليس كرداء البشر، وإزار الله ليس كإزار البشر، فالبشر هذه الأقمشة وهذه المصنوعات، والله رداؤه وإزاره العزة والكبرياء أو العظمة والكبرياء، وقد أشار إلى هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في "بيان تلبيس الجهمية".

قال في الحديث: فمن ينازعني عذبتة والكبرياء: العظمة والجلال والمجد، ومن أسمائه -سبحانه- المتكبر، ما يليق بالله لا يليق بالمخلوق في الكبر، الله من أسمائه المتكبر، وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [الجاثية: ٣٧]، وهذا الذي جاء في رداؤه أنه الكبرياء، فلا يليق بالمخلوق أنه يكون متكبرا، وإذا كان متكبرا كان مذموما.

أما الله فمن كماله: أنه المتكبر، والذي يليق به الكبر هو الله، وليس المخلوق، المخلوق إذا تكبر يتكبر بغير الحق، أما الذي له الكبرياء الحق الله.

وقد قيل في معنى المتكبر: له الكبرياء، العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المنزه عن السوء والنقائص والعيوب، هذا معنى المتكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "والعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلى من العظمة، ولهذا جعلها بمنزلة الرداء، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار".

قال: "ولهذا كان شعار الصلاة والأذان والأعياد هو التكبير، وكان مستحبا في الأماكن العالية كالصفا والمروة، وإذا علا الإنسان شرفاً -يعني مثلاً في طريق السفر صعد جبلاً أو مرتفعاً من الأرض أو أقلعت الطائرة به- قال شيخ الإسلام: أو علا الإنسان شرفاً، أو ركب دابة، ونحو ذلك، وعند الأذان يهرب الشيطان" [العبودية، لابن تيمية، ص: ٩٩-١٠٠].

وقال أيضاً: "التكبير مشروع في المواضع الكبار؛ ليبين أن الله أكبر، وتستولي كبريائه في القلوب، على كبرياء تلك الأمور الكبار" يعني: لو أنت رأيت مثلاً جيشاً عظيماً، فقلت: الله أكبر، تذكر نفسك أن الله

أكبر من هذا الجحفل، وهذا الجيش العرمرم، ولورأيت ما رأيت من هذه الأسلحة الفتاكة والجبارة، وحاملة الطائرات والصواريخ العظيمة، فتذكر نفسك أن الله أكبر من كل هذه، حتى ما تستولي على قلبك كبر هذه الأشياء، وإنما يستولي عليه الله، صفة الكبر لله -عز وجل-، وأنه أكبر، وأنه الكبير المتعال سبحانه على خلقه، قال شيخ الإسلام: "وتستولي كبريائه في القلوب على كبرياء تلك الأمور الكبار، فيكون الدين كله لله، ويكون العباد له مكبرين، فيحصل لهم مقصودان، مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله -يعني قلوبهم تكبر- ومقصود الاستعانة بانقياد سائر المطالب لكبريائه"

[مجموع الفتاوى: ٢٤/٢٢٩].

فالكبرياء لله وحده، ولهذا كان من عقاب الله -تعالى- للمتكبرين -كما مر معنا- أن الله يحشرهم يوم القيامة في صورة مهينة ذليلة، كما قال: **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر -كالنمل الصغار في الحجم- على صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان**

[رواه الترمذي: ٢٤٩٢، والبخاري في الأدب المفرد: ٥٥٧، وهو حديث حسن].



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس الخامس عشر

الثناء على الله العظيم بما
هو أهله

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الحديث الخامس عشر

قال ﷺ: استووا حتى أثني على ربي، ثم قال: اللهم لك الحمد كله،
اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هاديا لما أضللت،
ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا
مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك
ورحمتك وفضلك ورزقك [رواه الإمام أحمد: ١٥٤٩٢، والبخاري في الأدب المفرد:
٦٩٩، وصححه الحاكم: ٤٣٠٨، والألباني].

شرح الحديث الخامس عشر

مناسبة الحديث هذا: عن عبد الله الزرقى أو عبيد بن رفاعه الزرقى،
قال: "لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون" رجعوا بيوتهم، طبعاً يوم
أحد حصل فيه مقتلة عظيمة في المسلمين، ونكبة عظيمة، ومصيبة
عظيمة، لما انسحب الكفار، ماذا قال النبي ﷺ بعدما حصل كل ما
حصل؟ ماذا قال للمسلمين قبل أن يرجع إلى المدينة بعد هذا
المصاب الجلل والكارثة والمصيبة التي حصلت؟

والمصيبة التي حصلت؟

قال لهم: استووا حتى أثنى على ربي -عز وجل- فصاروا خلفه صفوفًا، وذكر الحديث: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. وهناك تكملة لهذا الدعاء، قال: اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة الحاجة والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة.

وهذا -طبعًا- الشاهد له علاقة مباشرة بعدما ذكر كلما تقدم، قال: اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق هذا ثناء على الله، وذكر لعظمته، وتوسل إليه ببعض صفاته.

الخلق خلقه، والأمر أمره، والعبيد عبيده، والخير كله بيديه، لا مانع لما أعطى، فإذا أعطى أحداً شيئاً لا يستطيع أن يمنعه أحد من ذلك، وإذا منع أحداً شيئاً فلا يستطيع أحد أن يجلبه إليه: **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** [فاطر: ٢] لا قابض لما بسط، ولا باسط لما قبض، لا أحد يستطيع أن يضيق ما وسعه رب العالمين، ولا أحد يستطيع أن يوسع ما ضيقه رب العالمين؛ لكمال قدرته ومشيئته، وأنها نافذة في العباد، وأنه لا يمكن لأحد أن يضاد الله، ولا أن يغلبه ولا أن يعاكس أو يخالف مشيئته، ولا أن يقاوم فعله، فمشيئته كاملة نافذة، وإرادته ماضية، وقدره واقع لا محالة، ولا يمكن لو اجتمع من بأقطارها لا يمكن أن يرفعوا أو يدفعوا ما يريد أن يحدث أو ينزل، له القدرة الكاملة، ولا يهدي أحد من أراد الله إضلاله، ولا يضل أحد شخصاً أراد الله هدايته: **مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** [الأنعام: ٣٩]، **مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ** [الأعراف: ١٨٦]، **وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ** [الإسراء: ٩٧]، **أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا** [النساء: ٨٨].

ولا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى من علم أو رزق أو سلطان أو ولد أو جاه وغير ذلك، ولا

مقرب لما باعد، ولا مباعد لما قرب، الله يقرب الطائع، ويقرب أهل الإيمان، ويباعد الكفار والفجار والمنافقين، ولا يستطيع أحد أن يقربهم، فإذا بعدهم الله فمن ذا الذي يقربهم؟

والله يقبض ويبسط، ويوسع ويضيق، ويخفض ويرفع، ويؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعطي ويمنع، ويضل ويهدي، ويعز ويذل، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، فالحكم لله العلي الكبير، والله يحكم لا معقب لحكمه، ما أحد يستطيع البشر بعضهم يلغي قرارات بعض، وبعضهم يعاكس رغبة بعض، وبعضهم يوافق بعضا، وبعضهم يخالف بعضا، لكن الله ما الذي يعقب؟

لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ [الرعد: ٤١]، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ [المائدة: ١]، فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ [البروج: ١٦]، وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الأنعام: ١٧]، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ [الأنعام: ١٨].

إذن، خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمته وجلاله وكبريائه الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه، وتحت حكمه وقهره سبحانه؛ [تفسير ابن كثير].

قوله ﷺ في الحديث: **اللهم ابسط علينا** من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ما هو الملاحظ هنا؟ يعني ماذا كان قبل هذه العبارة، وما هي هذه العبارة؟

أن التوسل سبق الدعاء، يعني اللهم ابسط علينا هذا جاء بعد كل الثناءات السابقة، يعني شف كم ثناء مر؟ كم ثناء على الله؟ وكم وصف من أوصافه العظيمة قدم قبل أن يسأل سؤالاً واحداً؟

اللهم اللهم ولا مانع ولا مقرب ، ولا مباعد ولا مضل يعني بعدما ذكر صفات لله، وأثنى على الله، ومجد الله، وعظم الله، وذكر مشيئته النافذة، وأمثلة على مضاء قدره، وعلى نفوذ مشيئته، بعدما مجد وعظم، بعد ذلك جاء الطلب، قال: **اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك .**

إذن، الدرس الذي نستفيده أن الثناء على الله والتوسل بأسمائه وصفاته قبل الطلب قبل الدعاء، ثم يشرع الداعي في مطلوباته الدنيوية والأخروية، فيسأل الله أن يوسع عليه، أن يؤتيه من فضله، أن يرزقه، أن يعافيه، أن ينصره، ونحو ذلك، وإذا سأل من خيرات الدنيا ما ينسى الآخرة؛ لأن الآخرة هي الأصل، ولذلك قال: اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول وهو نعيم الآخرة؛ لأنه النعيم الدائم.

اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة يوم الحاجة، يوم الشدة، وكذلك طبعاً سواء كان في الدنيا أو في الآخرة أسألك النعيم يوم العيلة يعني حتى لو صار مجاعة، لو صار قحط، لو صار فقر، لو صار حرب أسألك النعيم يوم العيلة، وكذلك في الآخرة، الآخرة ما أحد يملك شيئاً، قال: والأمن يوم الخوف والاطمئنان إذا حل الفزع في الناس يوم الفزع الأكبر أو في الدنيا يوم الخوف في الحرب وغيرها أسألك الأمن، اللهم إني عائد بك طبعاً هذا مناسب لمعركة أحد حصلت حرب، وحصل خوف وحصل.. اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت؛ لأن الرزق أو العطاء في الدنيا قد يكون في بطن وراءه قد يجر إلى معاصي، قد يكون سبباً في الطغيان والاستكبار: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى [العلق: ٦-٧]، ولذلك استعاذ من شر ما أعطاه، قال: من شر ما أعطيتنا يعني يسأل الله الإعطاء ويستعيز بالله من شر العطية.

وكذلك استعاذ من شر ما منع؛ لأن الفقر ممكن يقود إلى الكفر، والفقر أحياناً يُنسي، فيستعيز من الغني المطغي، والفقر المُنسي. وقد يكون سبباً في الحسد والبغي والظلم والحزن والهم والغم، والإشغال عن العبادة، ومصالح الآخرة الذي هو الفقر، ثم قال:

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان فإذا حبب الله الإيمان إلى العبد خلاص العبد يتوجه إليه مباشرة، ولا يجد عناء، ولا يصد ولا يحيد، بل يرغب ويقبل، فيكون العمل صالحا، وإذا كره الله الكفر والفسوق والعصيان إلى شخص مهما صارت المغريات، ومهما عظمت الفتن، ومهما تزينت الشهوات المحرمة ما يقع فيها؛ لأن الله يكرهه فيها؛ واجعلنا من الراشدين، المستقيمين على الرشd اللهم توفنا مسلمين، وأحيينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين الخزي الذل الفضيحة ولا مفتونين لا فتنة دنيوية، ولا فتنة أخروية.

ثم دعا النبي ﷺ على المشركين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك لخطرهم وشرهم؛ لأنهم يشغلون المؤمنين عن العبادة وعن الدعوة، يشغلون المؤمنين بقتال المؤمنين، ويصدون عن سبيل الله فيخاف من كان يريد الإسلام لما يرى هؤلاء الكفرة في طغيانهم، واجعل عليهم رجسك وعذابك، الرجس هو شدة العذاب.

اللهم قاتل الكفرة الذين أتوا الكتاب، إله الحق الإله المألوه المعبود المستحق للعبادة المحبوب، الحق ضد الباطل.



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظِيمُ الْعَالَمِينَ

الدرس السادس عشر

عدل الله ورحمته ومكانة
الإيمان بالقدر

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الحديث السادس عشر

لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه؛ عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك، حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار [رواه أبو داود: ٤٦٩٩، وصححه ابن حبان -رحمه الله-، وكذلك ابن القيم والذهبي، وضعفه ابن رجب -رحمه الله-، قال محققو المسند: "إسناده قوي"، وقال الهيثمي: "رجاله ثقات".]

شرح الحديث السادس عشر

والله هو العدل، وهو منزّه عن الظلم، والظلم محال في حق الله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ [النساء: ٤٠]، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف: ٤٩]، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [فصلت: ٤٦]، وقال في الحديث القدسي وقد مر معنا: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي [رواه مسلم: ٢٥٧٧].

وهو سبحانه الحاكم المتصرف يعذب من يشاء، ويرحم من يشاء، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، له الخلق، وله

الأمر، وله الحكم ، قال النبي ﷺ في هذا الحديث: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم [رواه أبو داود: ٤٦٩٩، وابن ماجه: ٧٧، وأحمد: ٢١٥٨٩] هنا نشير إلى أن المبتدعة في جانين في مثل هذا، بعضهم وهو المعتزلة يردون مثل هذه الأحاديث أصلا، ولا يعترفون بها.

والأشاعرة في الجانب الآخر يقولون: يعذب بلا سبب، ولا حكمة، ولا تعليل، ولا يلزم لا وجود لا حكمة ولا تعليل، وهذا خطير أيضا القول هذا، فالله لا يمكن أن تكون أفعاله صادرة عن غير حكمة أو بلا حكمة أو يفعل أشياء عبثا أو يفعل أشياء بلا سبب، لا علة لها، ولا تعليل لها، لكن نحن قد تخفى علينا العلة، قد تخفى علينا الحكمة، لكنه لا يوجد جواز أن يفعل الله شيئا بلا حكمة، هكذا مجرد المشيئة كما يقول الأشاعرة.

أهل السنة يقولون: لا، لا يمكن لا بد أن تكون، لا بد كل فعل لله صادر عن مشيئته وإرادته -عز وجل-، لكن لا بد أن يكون لله فيه حكمة، ما يمكن أن يكون عبثا أو بلا حكمة.

أما هم يقولون بمحض المشيئة المجردة، فلو قال قائل: هذا الحديث يعني لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل الأرض، طبعاً لو أنه عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم، معنى ذلك، يعني أنه -سبحانه- لا يعذبهم

إلا لو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم؛ لأن هنالك سببا في الحقيقة يستدعي التعذيب، مثل أنهم لم يشكروا نعمه، الآن لو جمعت كل أعمالنا على نعمة واحدة ما أدتها، طيب بقية النعم؟ عبادتنا فيها وفيها، فيها الرياء، وفيها العجب، وفيها التقصير، وفيها خروقات كثيرة، يعني لو عذبنا على تقصيرنا في العبادة نستحق، لو عذبنا على عدم شكر النعم حق شكرها نستحق، لكنه -سبحانه- بفضلته ورحمته وكرمه ومنته يغفرو ويتجاوز ويقبل التوبة -سبحانه وتعالى-، ولو شاء لعذبنا على الصغيرة والكبيرة، وعلى كل شيء، وحاسبنا على ذلك، على كل الأعمال، على كل التقصيرات.

فإذن، لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل الأرض، لو أنه عذبهم -عز وجل- لعذبهم وهو غير ظالم لهم، لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ونعم الله على العباد كثيرة، وحقوقه عليهم كثيرة، ومع ذلك، فهو يعفو ويغفرو ويتجاوز، والعباد ما قاموا بحق شكره، وأعمالهم كلها لا تفي شكر نعمة واحدة، فما بالك ببقية النعم؟ فما بالك إذا كان في أعمالهم معاصي؟ فما بالك إذا فيها كبائر؟ وأيضا قيامهم بحقوقه فيه تقصير إما جهلا أو تفريطا معصية تقصيرا؟ ولذلك قال ﷺ: **لن ينجي أحد منكم عمله** [رواه البخاري: ٦٤٦٣، ومسلم: ٢٨١٦].

فإذن، لو عذبنا على تقصيرنا في العبادة، أو عذبنا على تقصيرنا في

شكر النعم لكنا مستحقين وإلا لا؟

خلاص هذا من معنى هذه العبارة لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبتهم وهو غير ظالم لهم، فلو عذبهم لعذبتهم بحق، عذبهم لحقه عليهم من تقصيرهم في حقه؛ وهو غير ظالم لهم، لو عذبهم في هذه الحالة هم يستحقون العذاب، وما كان تعذيبهم ظلما، كيف وأعمالهم لا توازي القليل من نعمه؟ كيف وهم مقصرون في طاعته؟ فتبقى نعمه الكثيرة ما لها مقابل في الشكر، ولو وزعت طاعات كل واحد على النعم التي أتاه الله إياها ما تفي بشكر النعمة، قال الله -تعالى-: **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** [إبراهيم: ٣٤].

وأشار أيضا في الآية الأخرى: **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** [النحل: ١٨] أشار إلى أنه غفور رحيم على تقصير العباد في شكره لنعمه.

قال بعدها: **ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم** فإذا، رحمته ليست في مقابل الأعمال، ولا ثمن عليها، ولا تبلغ أعمالهم رحمته، فرحمته خير من أعمالهم، لو واحد قال: هل يرحمنا لأن أعمالنا تستحق رحمته، توازي رحمته، تكافئ رحمته؟ نقول: لا،

رحمته خير وأعظم من أعمالنا، ولو كان على أعمالنا فقط ما ندخل الجنة، لكن رحمته، وأعمالنا ليست مكافأة للجنة، حتى لو الواحد من أهل الجنة عمله لا يكافئ الجنة، ولا ثمن للجنة، لكن سبب لدخول الجنة.

وإذا بما ندخلها؟ برحمته، إذا أعمالنا ما تكافئ الجنة، يعني ما نستاهل مهما عملنا، مهما عملنا ولا شكر نعمة، يعني مثلاً نعمة التنفس يعني كل الأعمال ما تكافئ نعمة، فسيكون دخول الجنة هذا زائد؛ لأنه الآن سيقال طيب وبقية النعم فضلاً عن أن نستحق الجنة يعني بأعمال، فهذه الأعمال لو وزنت وحوسبنا عليها، يعني تماماً ستسهلك كلها في شكر نعمة، وما أدينا بقية النعم، فضلاً عن أن نكون فعلنا ما يساوي دخول الجنة.

إذن بم ندخل؟ خلاص كذا نقول ندخل برحمته، لكن في ناس ما يدخلون المشركون الكفار لا يدخلون أبداً، وفي ناس لا يدخلون إلا بعد عذاب، وأهل الكبائر، ومن لم تستثنه المشيئة، فهناك ناس يستحقون دخول النار، ولكن مشيئة الله يعني الله يشاء ألا يدخلوها برحمته، وناس يدخلون ثم يخرجون.

فإذن، كل الذين يدخلون الجنة لا يدخلون إلا برحمة الله، وإلا فالأعمال لا تنجيهم من النار ولا تدخلهم الجنة.

إذا جئت على قضية الحساب يعني هل تساوي؟

ما تساوي، كما قال ﷺ: لن يدخل أحد عمله الجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا، يعني حتى عبادة الأنبياء ما توازي شكر النعم التي أنعم الله بها عليهم، لو أخذت نعمة النبوة فقط: **وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** [النساء: ١١٣]، **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ** [النساء: ١١٣]، وآتاه الله النبوة، وآتى أنبياء الملك والحكم والنبوة سليمان وداود. إذن، حتى الأنبياء أعمالهم لا تكافئ الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمة [رواه البخاري: ٥٦٧٣، ومسلم: ٢٨١٦].

وجاء في رواية: لن ينجي أحدًا منكم عمله [رواه البخاري: ٦٤٦٣، ومسلم: ٢٨١٦].

فالأعمال الصالحة ليست مساوية للنجاة من النار، ولا لدخول الجنة، لكنها سبب، يعني لو واحد ما عمل، قال يعني خلاص ما في فائدة ما نعمل، نقول له: ما تعمل خلاص يدخل النار، ما عنده سبب للنجاة أصلاً، يعني تدركه رحمة الله على إيش؟ **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** [الأعراف: ٥٦].

فإذن، لا بد أن نحسن حتى يرحمنا ويدخلنا الجنة، لا بد أن نعبد حتى يرحمنا وينجيننا من النار، لا بد أن نتوب حتى يرحمنا ويتجاوز عنا، ولو ما في توبة ولا في عمل صالح، خلاص، إذن، **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** [النحل: ٣٢] الباء هذه باء السببية، وليست باء

الثمانية، ليست ثمننا ولا مكافئاً، السبب لأنه أمرنا وأعمالنا سبب نرجوها عنده أن يدخلنا الجنة، نرجوها عنده أن يبعد بيننا وبين النار، فدخل الجنة إذن برحمة الله وفضله، والنجاة من النار برحمة الله وفضله.

إذن، معنى الحديث: لو عذبهم لعذبهم وهم يستحقون كل أهل السماوات والأرض ولم يكن لهم ظالماً، ولورحمهم فهذا مجرد تفضل منه وكرم، لا لأن أعمالهم يستحقون بها الرحمة والجنة والنجاة من النار، لكن لو عذبهم لعذبهم لاستحقاقهم، ولورحمهم لكان ذلك فضل منه وكرم، لا بأعمالهم، فرحمته خير من أعمالهم، فجميع العباد تحت عفو الله ورحمة الله وفضل الله، والذي ينجو منهم ينجو بفضل الله، وعفو الله، ما فاز أحد إلا برحمة الله، ما يفوز أحد بالجنة إلا برحمة منه وفضل.

وإذا كان هذا حال العباد فإذن، عليهم أن يشكروه، وأن يعلموا عظمتهم وقوته -سبحانه- وانتقامه وعذابه وتقصيرهم في حقه.

قوله ﷺ في الحديث: ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر

هذا يبين أن الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان وأصول

الإيمان، وأن الإنسان لن ينجو إلا بهذا الإيمان، وأن الله قدر كل المقادير.

والحديث هذا له قصة: أن ابن عمر أتى ف قيل له: "إنه قد ظهر قبلنا -أناس عندنا في جهتنا، السائل يقول- يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم -يعني: يطلبون ويجمعون- وذكر من شأنهم -أي أنهم يعني مجتهدين- لكن يزعمون أنه لا قدر، وأن الأمر أنف" يعني مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله، وأنهم لا يعلمه إلا بعد وقوعه، تعالى الله عن قولهم.

طبعاً القدرية هؤلاء مجرمون في حق الله، لكن يزعمون أنهم يريدون تنزيهه، لما؟ يقولون ذلك يقولون يعني كيف نقول إنه علم بالمعصية قبل وقوعها، لما ما منعها؟، لو كان علمها كان منعها، سبحان الله! وهو سبحانه لا يبتلي؟ ولما خلق الشيطان؟ ولما خلق الشر؟

فإذن، الله علمه وشاءه وأراد خلقه، لكن لا يحبه، لماذا خلقه؟ لماذا أوجده؟ ابتلاء للعباد، يبتليهم من يطيع الشيطان ممن يطيع الرحمن.

فهؤلاء القدرية جاؤوا وقالوا: ما يعلم، ما يعلم الشيء إلا بعد وقوعه، لو قلنا: يعلم قبل وقوعه معناه كيف علم وما منعه؟

سبحان الله! أنتم تتحكمون فيه، تتحكمون في أفعاله، هو يفعل ما يشاء، حكمته اقتضت وشاء أن يخلق الشيطان، وأن يخلق الشر، وأن يقدر وقوع هذه الأشياء، حتى أصلا لو ما وقعت أهل النار يستحقون دخول النار على أيش؟ لو ما وقعت كيف تقوم حجته على خلقه؟

فهؤلاء مساكين أرادوا النجاة من شيء فوقعوا فيما هو أسوأ وأطم، أيش هو؟ أنهم اتهموا الله بالجهل، إنه يفاجئ بالأشياء عند حدوثها -تعالى الله عن قولهم- أيش المصيبة هذه؟

شف قارن بما فروا منه تجد كارثة كبرى، قولهم هذا سبة في حق الله، وأي سبة ونقص، قال ابن عمر: **"فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني -لا أنا منهم ولا هم مني-**، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحد مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه **حتى يؤمن بالقدر**" [رواه مسلم: ٨] بدون إيمان الأعمال البرهذه ذاهبة، "لو كان له مثل أحد ذهباً وأنفقه ما قبله الله منه" حتى يكون يؤمن بالإيمان وأركانه، ومنها: أن يؤمن بأن الله كتب المقادير وعلمها وشاءها وخلقها وأوجدها، وما حصلت إلا بعلم منه، وأنه شاءها لحكمة، وابتلاء للعباد، **وَلِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** [الأنفال: ٣٧]، **وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا** [آل عمران: ١٤١]، ويظهر أصحاب النار في الواقع المستحقون لها، وتقوم عليهم الحجة.

ثم روى ابن عمر عن أبيه عمر حديث جبريل المشهور في أركان الإيمان الستة، فتبرأ عبد الله بن عمر من هؤلاء، وأخبر أن هؤلاء القدرية لا تقبل منهم أعمال بدون الإيمان بالقدر.

وكانت هذه النبتة الخبيثة طلعت في عهد الصحابة، يعني لو واحد قال: أول الفرق ظهورا الخوارج والقدرية.

أول الفرق ظهورا في عصر الصحابة الخوارج والقدرية، والخوارج أبوهم ظهر في عهد النبي ﷺ: ذو الخويصرة، الذي جاء يعترض على النبي ﷺ يقول: "اتق الله، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله" [رواه البخاري: ٣١٥٠، ومسلم: ١٠٦٢].

فإذن، أول الفرق ظهورا في الأمة هؤلاء الخوارج والقدرية، الصحابة وقفوا منها موقفا حاسماً، يعني عمر بن الخطاب لما خرج هذا صبيغ بن عسل يسأل عن المتشابهات؛ يأتي يجلس إلى الناس حديث عهد بالإيمان، أو من العامة، ما عندهم علم، ويحي يسأل في المتشابهات، يعني يحي يقول: والمرسلات والعاصفات، إيش هذا؟ والذاريات يعني الأشياء المحتملة؟ فلما بلغ عمر شأن هذا صبيغ استدعاه، تعال، فلما جاء جلس قال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال: وأنا عبد الله عمر"، وكان عمر قد أعد له عراجين النخل، وأخذ العرجون يضرب به على رأسه، حتى سال الدم، قال: "حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب والله الذي في رأسي" خلاص، ثم نفاه ومنعه من الكلام

ومقاطعة كاملة، وغربه عن بلده، وأبعده عن أهله، وحكم عليه بأن يهجر، فما كان أحد في عهد عمر يتجراً أنه يطلع بدعة. بعد عمر يكسر الباب، كما في حديث حذيفة كسر الباب بمقتل عمر، ودخلت الفتن على المسلمين، خرجت نابتة القدرية، ونابتة الخوارج، لكن الصحابة كانوا لها بالمرصاد، يعني مثلاً عبد الله بن عمر موقفه من القدرية واضح جداً، يعني صارم، صارم، "أني بريء منهم، وأنهم برأء مني"، ما في علاقة.

عبادة بن الصامت صحابي آخر كان له موقف حاسم من أهل البدع في القدر، فإنه قال لابنه: "يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك" ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: ربي وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، ثم قال: يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا فليس مني [رواه أبو داود: ٤٧٠٠، وصححه ابن حجر، من المعاصرين الألباني، ومحققو المسند].

في رواية الترمذي: "يا بني اتق الله، واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره، فإن مات على غير هذا دخلت النار" [رواه الترمذي: ٢١٥٥، وهو حديث صحيح].

مضى معنا في الإيمان بالقدر أن له أربع مراتب: علم الله، وكتابته،

ومشيئته، وخلقهِ وإيجاده للأحداث والأقدار: **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ [يس: ١٢]**، **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَا حِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [الأعراف: ١٤٥]**، في الذكر، **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ [الأنبياء: ١٠٥]**.

ما المقصود بالذكر؟ اللوح المحفوظ، هنا في هذه الآية، والإمام المبين: اللوح المحفوظ، وكذلك الكتاب المبين، الله أجرى القلم على اللوح المحفوظ بكتابة ما هو كائن، وكل ما يجري في هذا الكون صادر عن إرادته ومشيئته الدائرة بين رحمته وحكمته، كل ما يقع في هذا الكون صادر عن إرادته ومشيئته الدائرة بين رحمته وحكمته، وكل ما يقع في الكون مطابق لما هو مكتوب في اللوح المحفوظ، لا يخرج عنه، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يخرج عن إرادته شيء، **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا [البقرة: ٢٥٣]**، **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا [الأنعام: ١٠٧]**، **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ [البقرة: ٢٥٣]**، ومشيئة العباد داخلة في مشيئة الله: **وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [التكوير: ٢٩]**، كل ما يجري من خير أو شر أو كفر أو نفاق أو طاعة أو معصية كله شاءه الله قدره حكم عظمة: **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ [القمر: ٤٩]**، **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا [الفرقان: ٢]**، **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ [الزمر: ٦٢]**.

ما يخرج العباد عن هذا؛ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، لو مت على غير هذه العقيدة قال: لدخلت النار، فهذا جزم بأن منكر القدر في النار، من أنكر القدر فهو كافر؛ لأنه مكذب بالقرآن الله يقول: كتبنا، وهذا يقول: ما كتب، ولا شاء، ولا علم، هذا في النار.

إذن، من عظمة الله: أنه قادر على تعذيب كل أهل السماوات والأرض، ولو عذبهم وهو غير ظالم لهم.



الآن يبعون

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس السابع عشر

كمال صفات الله الذاتية
وبيان فضله

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الحديث السابع عشر

يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال: رأيت ما أنفق سبحانه وتعالى ينفق رأيت ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغيض ما في يده وقال: وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع [رواه البخاري: ٧٤١١، ومسلم: ٩٩٣] سبحانه، حديث عظيم من أحاديث عظمة رب العالمين.

وفي رواية لهما: يمين الله ملأى، رأيت ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؛ فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض [رواه البخاري: ٧٤١٩، ومسلم: ٩٩٣].

شرح الحديث السابع عشر

هذا الحديث يدل على كمال ملك الله، كمال ملك الله وجوده وإحسانه وقدرته وعظمته، وأن خزائنه ملأى، وأن ملكه تام، وأن ما عنده لا ينفد، مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ [النحل: ٩٦]،

له خزائن السماوات والأرض؛ مهما أنفق، ومهما أعطى - سبحانه - لا ينقص مما عنده شيء، كم ينفق ربنا كل يوم؟ كم ينفق؟ كم يعطي كم؟ الأموال، والصحة، والأولاد، والجاه، والحكم، وما نقص شيء مما عنده، سبحانه الله عظمة هذا يملأ قلب المؤمن تعظيماً لربه هذه النصوص التي نحتاج إلى الإيمان بها والتأمل فيها لتزيدنا تعظيمنا لربنا، وقد قلنا يعني ما في واجب يترك ولا معصية تعمل إلا من نقص تعظيم الله في نفوسنا: **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** [الأنعام: ٩١]، لو قدروا الله حق قدره ما أشركوا، ما قالوا الكلام الذي يقولونه، **مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ** [الأنعام: ٩١]، ما جحدوا.

الحديث هذا فيه بيان أن كل شيء يعني كل عطية كل خير في الكون هذا مصدره من الله، **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ** [الحجر: ٢١]، يعني حتى هذا المطر كله من عند الله، وأن الله لو اجتمع عباده أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم في صعيد واحد فسألوه؛ فأعطى كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر؛ كما مر معنا في حديث مسلم.

وقوله ﷺ: يد الله ملأى لاحظ الإيمان بهذا يدفع إلى سؤال الله أيما سؤال، إذا يده ملأى، اسأل وما في سقف للمطالب، يعني ما دامت مباحات وحلال، اسأل ترى يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل

والنهار، ملأى شديدة الامتلاء بالخير الكثير، أرزاق وعطايا، لا يغيضها يعني: لا ينقصها، ما ينقص مما عنده شيء، سحاء يعني دائمة العطاء، هذا معنى سحاء دائمة العطاء والصب على العباد سحاء الليل والنهار يعني في الليل والنهار، يقال: سح الماء إذا انصب من فوق من علو، وارتفع إلى حد السيلان، فيد الله تعطي عن ظهر غنى جزيلة، لا مانع لما أعطى.

الآن لما قال: سحاء وعرفنا السح الانصباب من علو، الانصباب من علو ماذا يعني السهولة؛ لأنه لما ينزل الشيء من أعلى ينزل بسهولة، يتدفق، فالله يصب على العباد صبا، يعطيهم، يغدق عليهم، يرزقهم، ويعافهم، والدنانير والدرهم والذهب والفضة واللباس والصحة والأولاد والزوجة، عطاء، والمسكن والدواب والأعمال والزروع والثمار، وكل شيء، متى يمتنع العطاء؟

إما أن يكون الواحد ما عنده شيء يده فارغة، أو عنده بس بخيل، والله يده ملأى، وهو كريم -سبحانه-، يد الله سحاء تعطي بالليل والنهار، ما نقص شيء مما عنده ما نقص. [بعض ما تقدم مستفاد من شرح الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- للسفارينية].

الله -عز وجل- له الجود الكامل والإحسان، ويعطي من خزائنه التي عنده، نحن ما نراها ولا اطلعنا عليها، لكن الله أخبرنا عنها: **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ** [الحجر: ٢١]، قال: سبحان الله!

ماذا أنزل من الخزائن؟ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [المنافقون: ٧]،
 فله الغنى، وهو الجواد الكريم المنان صاحب الإحسان، يَدَاهُ
 مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ [المائدة: ٦٤]، لا حرج عليه، ولا منع
 لعطائه، يبسط يديه، ويأمر العباد أن يتعرضوا لنفحاته ويسألوه،
 فيده سحاء، يصب عليهم صبا، وخيره مدرار، واسع العطاء، كما ذكر
 الشيخ السعدي -رحمه الله- في تفسيره.

الإنسان من طبعه البخل والشح؛ يمسك خشية النفاق: قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ
 تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
 قَتُورًا [الإسراء: ١٠٠] يعني: بخيلا، لو أنتم موكلون على الخزائن التي
 عند الله ما أنفقتم، لخفتم النفاق.

الحديث هذا فيه إثبات اليدين لله -تعالى-، وأنهما مبسوطتان
 بالعطاء والنعم، وهذه من الصفات الذاتية لله، يد الله، قال في
 الحديث: يد الله، يمين الله في الرواية الأخرى، قال: وبيده الأخرى
 الميزان.

إذن، له يدان، قال: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ [ص: ٧٥]
 ثنتين، وقال: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ [المائدة: ٦٤].

وأجمع السلف على أن لله يدين، يجب إثباتهما لله -تعالى- حقيقة

على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله، وإجراء نصوص الصفات كما جاءت من غير اعتراض ولا رد ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، ولا نعين كيفية من عندنا: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** [الشورى: ١١] أهل الباطل قالوا: اليد النعمة، واليد القدرة، واليد القوة، وفسروها بغير ما هو معروف في اللغة، وما هو ظاهر النصوص في الشرع.

قوله ﷺ: رأيت ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده كل الذي أنفقه منذ أن خلق السماوات والأرض ما نقص شيء مما عنده؛ لأن الخير كله بيده -سبحانه-، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وكيف ينقص من عنده شيء إذا كانت الأمور بالكلمة تخلق: كن، خلاص يخلق بالكلمة: **كُنْ فَيَكُونُ** [البقرة: ١١٧]، ما الذي ينقص ملكه؟ ما في شيء، يخلق بالكلمة.

وقوله ﷺ: **وعرشه على الماء** وفي الرواية الأخرى: **عرشه على الماء** لما ذكر خلق السماوات والأرض ذكر أن الله كان عرشه على الماء قبل أن يخلقهما، وفي هذا دليل على أن خلق العرش سابق على خلق السماوات والأرض كما في "طرح التثريب" و"فتح الباري".

فالعرش كان على الماء قبل ابتداء خلق السماء والأرض: **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** [هود: ٧]. وممر معنا في حديث البخاري: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه

على الماء، وكتب في الذكر كل شيء الذكر هذا من أسماء اللوح المحفوظ: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ كِتَابًا فِي كِتَابِنَا الْمُنْزِلَةَ الزبور من بعد الذكر، يعني من بعدما كتبنا في الذكر في اللوح المحفوظ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ [الأنبياء: ١٠٥]، والذي جاء عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وأبي العالية وابن زيد: أنها أرض الجنة، أن الأرض هذه أرض الجنة يرثها عبادي الصالحون. وقال بعضهم: أرض الدنيا يورثها الله للصالحين، فيسلبونها من الكفار وتنتقل إلى الصالحين.

وفي هذا بيان بطلان من قال: إن الكفار يصلحون لإدارة الأرض. الكفار عمرهم ما صلحوا لإدارة الأرض، الكفار إلا ويفسدون في الأرض، كفار ماذا يريدون؟ يعني يحلون الفواحش، ويحلون الربا، ويحلون الخمر، ويظلمون ويبغون ويطغون ويسلبون خيرات غيرهم، من أين لهم الصلاحية هذه؟، الصالحون أصحاب الأعمال الصالحة، الكفار عمرهم ما كانوا أصحاب الأعمال الصالحة، ولو عندهم خير يخلطونه بأضعاف أضعاف من الشر، لو عندهم أعمال بريخلطون يكفي الكفر الذي هم عليه، والشرك الذي هم عليه، وأكبر منكر في الأرض الشرك والكفر ماذا تريد؟

ثم يقال: أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ بعددين "عبادي" هذه إضافة تشريف هل يستحقها الكفار حتى يفسر أن الصالحون، يعني من

الكفار الصالحون لإدارة الأرض، والله قال: أن الأرض يرثها. فإذا، يورث الله الأرض عباده، هذه إضافة تشريف، ما يستحقها الكفار، هذا تشريف.

وقوله ﷺ: وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع الميزان: العدل، ولماذا يسمى الميزان عدلاً؟ لأنه به يتحقق العدل.

قال في الحديث الآخر: يخفض القسط ويرفعه [رواه مسلم: ١٧٩].
فإن الله يحكم في خلقه بميزان العدل، ويعلم من هو أهل للرفع فيرفعه، ومن هو أهل للخفض فيخفضه، فالله يرفع من يشاء، ويضع من يشاء، يوسع لمن يشاء، ويضيق على من يشاء، وليست السعة دليلاً على الحب، ولا التضيق دليلاً على الكره، فقد يضيق على مؤمن، ويوسع على كافر، يوسع على كافر اختبار ابتلاء، وكذلك يضيق على المؤمن ابتلاء، ينظر هل يشكر هذا؟ هل يطغى؟ وهذا هل يصبر، ينظر سبحانه وتعالى، يعطي، وهذا نقول أفعاله لا بد فيها من حكمة ما يمكن تكون عبثية، وهكذا بس لمجرد أنه خلقهم يتحكم فيهم كيف يشاء، لا، أفعاله لحكم، فلو وسع على واحد اختبار ابتلاء له هل يشكر؟ لو ضيق على واحد اختبار وابتلاء له هل يصبر؟ كما قال النبي ﷺ: **كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**، قال: **من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويخفض آخرين** [رواه ابن ماجه وحسنه البوصيري، وكذلك الألباني، وضعفه ابن حجر في تغليق التعليق، وروي موقوفاً عن أبي الدرداء وذكره البخاري معلقاً عنه بصيغة الجزم].

وقوله: يخفض ويرفع يعني يخفض الميزان ويرفعه، فإن الذي يوزن بالميزان يخف ويرجح، كما في الحديث الآخر يخفض القسط ويرفعه وقيل: الميزان القسمة بين الخلق، فالميزان الذي يخفضه الله -تعالى- ويرفعه هو الشيء الموزون، فالله -تعالى- يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من أرزاق العباد النازلة من عنده وأعمالهم المرتفعة إليه، فيخفض الميزان تارة بالتضييق في الرزق، أو الخذلان بالمعصية، ويرفعه تارة بتوسيع الرزق أو التوفيق للطاعة؛ عدلاً منه وحكمة، وأشار إلى هذا [الخطابي -رحمه الله- في "أعلام الحديث" والقرطبي في "المفهم" والنووي على "صحيح مسلم" وابن حجر في "فتح الباري" والقسطلاني في "إرشاد الساري" وصاحب "مرقاة المفاتيح"].

وقوله ﷺ في الرواية الأخرى: وبيده الفيض أو القبض يرفع ويخفض الفيض أو القبض شك من الراوي أو للتنوع، يعني أن كلاهما مراد، يعني كلاهما من الحديث، الفيض والقبض أنه عكس بعض الفيض يفيض يعطي، والقبض يمسك، فيض الإحسان والعطاء والرزق الواسع، والقبض قيل قبض الأرواح بالموت، وقيل القبض المنع، يعني التضييق في العطاء، ويرفع ويخفض، يعني يرفع أقواماً ويضع آخرين، يوسع الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء، فالنبي ﷺ أخبر أن يد الله اليمنى فيها الإحسان إلى الخلق، والأخرى فيها العدل والميزان الذي به يخفض ويرفع، فأخبر أنها سحاء، وأن الميزان والعدل يخفض ويرفع، فالفضل بيد، والعدل بيد، وخفضه ورفع

من عدله وإحسانه، وأيضاً يحسن ويعدل، ولا يخرج فعله عن العدل والإحسان، فكل نعمة منه هو فضل، وكل نقمة منه عدل، كما قال ابن تيمية في "منهاج السنة النبوية".

قال ابن القيم -رحمه الله-: "يقسم الأرزاق، ويجزل العطايا، ويمن بفضله على من يشاء من عباده بيمينه، وباليدين الأخرى الميزان، يخفض به من يشاء، ويرفع به من يشاء؛ عدلاً منه وحكمة، **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** [آل عمران: ١٨]"، ويقول ابن القيم في كلام جميل عن الله -عز وجل-: "هو القيوم بأمر السماوات والأرض ومن فيهن، ليس له بواب فيستأذن، ولا حاجب فيدخل عليه، ولا وزير فيؤتى، ولا ظهير فيستعان به، ولا ولي من دونه فيشفع به إليه، ولا نائب عنه فيعرفه حوائج عباده -لأنه جرت عادة الملوك أن عندهم وزراء يرفعون إليه؛ لأنه نفس الملك ما يعرف كل صغيرة وكبيرة، يرفع إليه ترفع إليه وزير تقرير الله ما عنده وزراء ولا حجاب ولا ظهير ولا أعوان جنوده مستغنى عنهم، جنوده يرسل بهم عذاباً، ويعذب بهم، يعني أسباب للعذاب، ولكن غير محتاج للجنود -ولا ولي من دونه، ولا نائب عنه، ولا معين له، قال: بل قد أحاط -سبحانه- بها علماً، ووسعها قدرة ورحمة، فلا تزيده كثرة الحاجات إلا جوداً وكرماً، ولا يشغله منها شأن عن شأن، ولا تغلظه كثرة المسائل، ولا يتبرم بالحاح الملحين -سبحانه،

سبحانه - **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** [يس: ٨٢]" هذا في "طريق الهجرتين" لابن القيم رحمه الله [طريق الهجرتين، ص: ٣٢٢]



الآن يبعون

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظَمَةُ الْعَالَمِينَ

الدرس الثامن عشر

قدرة الله على البعث وبيان
وحدانيته وصمديته سبحانه

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الحديث الثامن عشر

قال الله: كذبتني ابن آدم؛ ولم يكن له ذلك، وشتمني؛ ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوله: لن يعيدني كما بدأتي، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته هذا الرد يعني وأما شتمه إياي فقلوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد [رواه البخاري: ٤٩٧٥].

وفي رواية: فسبحاني أن اتخذ صاحبة أوولدا [رواه البخاري: ٤٤٨٢].

شرح الحديث الثامن عشر

هذا الحديث القدسي العظيم اشتمل على أصلين عظيمين من أصول التوحيد:

أولاً: إثبات البعث بعد الموت.

والثاني: وحدانية الله وتنزيهه عن الصاحبة والولد.

العبارة الأولى قال الله: كذبتني ابن آدم؛ ولم يكن له ذلك، وشتمني؛

ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بدأني إنكار البعث، الرد على هذا وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته يعني أنا ما خلقتهم ما كانوا شيئاً طيب أيهما أسهل؟ خلقه من العدم وإلا إعادته بعد الموت؟

إعادة بعد الموت أسهل.

وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً؛ وأنا الأحد الصمد إلى آخر الحديث.

فإذن، الأصل الأول: إثبات البعث، والأصل الثاني: أن الله واحد لا صاحبة له ولا ولد.

إنكار البعث تكذيب لله؛ لأن الله أخبر أنه سيبعثهم، فقال في الحديث: كذبي ابن آدم؛ ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بدأني .

وقد ذكر الله هذا في كتابه: **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ [يس: ٧٨]** هذا تكذيب بالبعث **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [يس: ٧٩]**، **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [التغابن: ٧]**.

في الحديث الله ينكر على هؤلاء الذين فعلوا ما فعلوا أمرين ما هما؟

التكذيب، والثاني: الشتم.

التكذيب بالبعث، والشتم، ما هو الشتم؟

قولهم: أن له ولد وصاحبة، فالشتم والتنقص يقولون: له ولد، عيسى، عزيز، إلى آخره، وصاحبة مريم، إلى آخره، وهو السيد الصمد الغني، جميع المخلوقات خاضعة له، والولد يكون من جنس الوالد، والله -سبحانه- ليس له ولد لم يلد ولم يولد، ولا له شبيه ولا ند، ولم يكن له كفوا أحد.

وشتمني ولم يكن له ذلك، وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولدا لما دخل هذا أبو بكر الباقلائي -رحمه الله- لما كتب ملك الروم لخليفة المسلمين: أرسل لنا أحدا من علمائك، يعني نتناقش، لما أرسل له واحد من أذكى العلماء النوابع أرسل القاضي أبا بكر -رحمه الله-، القاضي هذا لما جاء يدخل، طبعا هم قالوا: هؤلاء المسلمون لا يركعون لغير الله، فكيف نخليه يركع هذا؟ جيب مهندس الديكور نزل مستوى الباب، فأبو بكر -رحمه الله- لما جاء ووجد الباب ما راح يستشير دخل بقفاه، استدار ودخل بقفاه، هذه أول ضربة، هذه ضربة في الصميم يدخل بقفاه، هذه فيها ازدراء واحتقار بالغ، يعني بس خلاص هم الذين تسببوا فيها، هم السبب، لما دخل أبو بكر -رحمه الله- وجد مجلس هذا ملك الروم ملئ بالبطارقة ورجال الدين أكبر صليب فيهم، توجه كيف حالك؟ كيف الأهل والأولاد؟

كيف الزوجة والأولاد؟ فثاروا عليه: ويلك! ويلك! وقر صاحبنا! وقر صاحبنا! هذا لا يليق به الزوجة والولد! يعني البابا وجماعته ما يتزوجوا فوق مستوى الشهوات، قال: ويلكم نزهتم صاحبكم عن الزوجة والولد، ولم تنزهوا ربكم عن الزوجة والولد! يعني هذه كبسهم كبسة، وكتمهم كتمة، خلاص إيش؟ وهكذا أهل العلم، هكذا أهل العلم.

فهذا الشتم والتنقص الذي يفعله النصارى بالله يقولون: له ولد وله زوجة، لما قال ابن عمر: سبوا ربهم، ما أعلم أحداً سب الله مثلهم؛ لأنه أنت لما تقول له زوجة أيش يترتب على هذا؟ كيف ينجب؟ أيش يقتضي هذا شهوة ووطئ وتعالى الله، شف سب النصارى لما يسبوا الله، لما يقولون له زوجة وولد، قال ابن القيم -رحمه الله-:

وهو الصبور على أذى أعدائه شتموه بل نسبوه للبهتان
قالوا له ولد وليس يعيدنا شتما وتكذيبا من الإنسان
هذا وذاك بسمعه وبعلمه

يعني: يحدث التكذيب والشتم والله حليم يصبر عليهم
..... يؤذونه بالشرك والكفران

[الكافية الشافية، ص: ٢٠٧].

النبي ﷺ قال: **لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله - عز وجل - أهل الإيمان يبتلون ويشتمون ويؤذون، لكن ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنه يشرك به، ويجعل له الولد، ثم يعافهم ويرزقهم، رح إلى بلادهم يحيى واحد يقول: أمطار وخيرات ونباتات وثروات وهو يرزقهم ويعافهم** [رواه البخاري: ٦٠٩٩، ومسلم: ٢٨٠٤].

قلنا: إن هذا الحديث العظيم قد اشتمل على ذكر باطلين يتنزه الله عنهما، والرد على كل باطل في الحديث، فالأول: التكذيب. والثاني: الشتم.

من العباد من يكذب الله، ويقول: لن يعيدني كما بدأتي، يعني لن أبعث، ينكرون البعث، ومنهم من يدعي له الولد. أما بالنسبة لقضية التكذيب بالبعث، فهذه من أعظم ميادين المعارك بين النبي ﷺ والكفار العرب ومشركهم، عند العرب كان متأصلاً قضية إنكار البعث.

إنكار البعث يبعث عليه أمور

ومنها: أن أهل الهوى يريدون أن يعملوا ما يشاؤون بلا حساب، يعملون ما يشاؤون من الباطل والمحرمات والشهوات والرذائل بدون أن يحاسبهم أحد، يريدون ذلك، فيقولون: لا بعث حتى يعملوا ما يشاؤون، ولا يخشى شيئاً، ما ورانا حساب: **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا** [المؤمنون: ٣٧].

ولذلك تراهم يعمرّون دنياهم جداً، يهتمون بالصحة جداً، يهتمون بالملذات، الأكل الشرب اللبس الشهوة المركب القصر، إلخ...؛ لأن هذه كل شيء عنده، ما في آخرة بالنسبة له لا يؤمن باليوم الآخر، ثم ليطغى ويظلم ويبغي، ويسلب ويأخذ مال هذا، ويعتدي على هذا، يضرب هذا، ينتهك عرض هذا، ما في حساب، ما في آخرة، فعند أهل الدنيا هذا أسهل شيء إنكار البعث انتهينا، وما في تأنيب ضمير، ويظن نفسه هذا هو كل شيء، علماً أن عقلاء الدنيا لوقيل لهم هل: تظنون أن هذا المشهد ينتهي هكذا؟ يعني الظالم يموت ظالماً، والمظلوم يموت مظلوماً، والمقهور يموت مقهوراً، والمغلوب يموت مغلوباً، والمسلوب يموت مسلوباً، ومن سلبه وقهره ظلمه بطش به وانتهك عرضه وأخذ ماله ومات على ذلك، خلاص انتهى هذا كل شيء؟

عقلاؤهم يقولون: لا، أكيد ما انتهى كل شيء، ولا بد يكون في يوم حساب، لا بد يكون في محكمة، لا بد يكون في إعادة الحقوق إلى أصحابها، وكثير من المظلومين ماتوا مظلومين، وكثير من الظالمين ماتوا ظالمين، يعني ماتوا في طغيانهم وقوتهم، والمظلوم مات مقهوراً مسجوناً مغلوباً مسكيناً، لا يمكن تنتهي القضية حتى العقل يقول: لا يمكن أن تنتهي هكذا، والذي قاوم نفسه، وجاهد هواه، وجاهد شهوته، وجاهد ألا يعتدي، ولا ينتهك عرضاً، ولا يسلب مالا،

ولا يطفئ على أحد، ولا يظلم، ولا يبغى، وحبس نفسه عن هذا، وفوت ملذات وشهوات، والنفس تشتهي، والنفس تطغى، والنفس تبغى على غيرها تظلم، فالذي منع نفسه من الطغيان والظلم، وفيه مكاسب دنيوية، يأخذ مال الغير، يستولي على ممتلكات الغير، فيها شهوة الذي منع نفسه، وجاهد نفسه وتعب؛ هذا ينتهي المشهد بالنسبة له هكذا بدون منافسة؟

فالعقلاء يقولون: لا بد من وجود محكمة، ولا بد من وجود يوم يصير فيه قصاص، إعادة الحقوق إلى نصابها، إلى أهلها.

بعض أدلة القرآن في الرد على منكري البعث

القرآن الكريم حفل بأدلة كثيرة في مواجهة منكري البعث؛ فتعالوا الآن يعني نستعرض وإياكم بعض الأدلة التي وردت في القرآن في الرد على منكري البعث.

لاحظ ترى في الآيات والسور في رد على موضوع منكري البعث من عدة جوانب، يعني مثلاً: إقسام الله الأقسام العظيمة أن هناك بعث: **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ** [التغابن: ٧] "بلى" و"الواو" واو القسم و"ربي" واللام والنون للتأكيد **لَتُبْعَثُنَّ** شف كم مؤكد؛ بالقسم؟ واو القسم، وربي، وذكر الرب واللام والنون.

هذا طريق في الرد على منكري البعث: أن الله أقسم وأكد بالمؤكدات العظيمة.

ثانيا: الإعادة أهون من الابتداء، الابتداء من عدم، والإعادة بعد أن مات، وكان موجودا؛ فأيهما أسهل؟

الإعادة، الدليل من القرآن الله احتج على منكري البعث بحجج، الله رد عليهم ردودا، نبغى الدليل على أنه أهون: **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** [الروم: ٢٧].

الاستدلال بالإنشاء، الاستدلال ببدء خلقه: **قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** [يس: ٧٨] هذا يستبعد يكذب بالبعث، إيش رد القرآن؟ الرد الإلهي: **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** [يس: ٧٩].

إذن، هذا طريق في الرد، الاحتجاج عليهم بالابتداء، بابتداء الخلق أنه أنشأك من العدم، وهو أهون عليه فإعادتك أليس الذي خلقهم أول مرة قادر على أن يعيدهم: **أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى** [القيامة: ٤٠] فإنه قال في آخر السورة: **أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى** [القيامة: ٣٧-٤٠] يعني من عمل هذه الأشياء، أليس قادرا على إحياء الموتى؟ من عمل أشياء أكثر وأعظم ألا يقدر على إعادة الموتى؟ من مني يمني؟ ثم كان علقه فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، يعني خلق من العدم، وسواه في أحسن تقويم، وجعل منه الزوجين: الذكر والأنثى؛

؛ أليس من عمل هذه الأشياء وقام بها قادر على أن يعيدهم بعد الموت؟ أليس ذلك بقادرٍ على أن يُحيي الموتى [البقرة: ٤٠].
هذه ردود إلهية مفحمة.

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، هذا الكافر قال مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ [يس: ٧٨] ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ [البقرة: ٢٥٩] ، هذا عزيز ، هذا مؤمن ، هذا بس من باب زيادة الإيمان ، يعني مثل: أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى [البقرة: ٢٦٠] ، قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ [البقرة: ٢٥٩] ، يعني هذا شيء ، وهذا شيء ، خلاص.

إذن ، ما نجيب سيرة الكافر ، نقول: إن الله ذكر آيات في القرآن قصص على الإحياء؛ مثل الرجل الذي أماته الله مائة عام ، مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، الجدران متهدمة ، والأسقف ساقطة ، وأهل القرية ماتوا ، خلاص قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ إِلَى أَنْ قَالَ: وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا [البقرة: ٢٥٩] ، الحمار أمامه تركب عظما على عظم ، فصار هيكلًا ، وكساه الله لحما ، صار حمارًا ، ورجع إلى الحياة.

فإذن ، نقول في الاستدلالات: نحن الآن نتعلم وإياكم موضوع كيف الرد ، وما هي الردود القرآنية؟

أن الله ذكر في القرآن أمثلة عملية ، وقصص حقيقية لإحياء بعد الموت في الدنيا ، ومنها قصة الذي استبعد أن هذه القرية تعود

إِلَى الْحَيَاةِ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: ٢٥٩].

دليل آخر مع الآية في الرد على منكري البعث؛ بقرة بني إسرائيل، ضُرب الميت ببعض البقرة فعاد إلى الحياة، جيد غيره: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ [البقرة: ٢٤٣].

الاستدلال بأحياء الأرض بالمطر على إحياء الموتى: إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ [فصلت: ٣٩].

وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ [الحج: ٥]، وفي آية أخرى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [فصلت: ٣٩] هذه آية صريحة وواضحة في موضوع الربط والاستدلال بأحياء الأرض على إحياء الموتى.

فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ بِالْمَطَرِ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُنْبِتُ الْأَرْضَ بِالْمَطَرِ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الروم: ٥٠].

هذه آية أخرى بس تحت نفس العنوان.

قال إبراهيم: رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ؟ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ [البقرة: ٢٦٠] القصة المعروفة، فجمع الله أجزائها بعدما تفرقت وركبها، وطار بعد أن أعاد إليهما أرواحها.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [البقرة: ٢٨]؟

الاستدلال بالخلق الأول كنتم عدما فخلقكم وأوجدكم، أو كنتم في الأجنة بلا أرواح، ثم نفخت فيكم الروح، خرجتم إلى الدنيا، متم فيبعثكم مرة أخرى، هذه فيها جزئين، فيها قضية أن الخلق ما خلقوا سدى ولا عبثا، خلقوا لغاية عظيمة وهي عبادة الله، والثانية الإنكار عليهم، وأنكم إلينا لا ترجعون: **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** [المؤمنون: ١١٥].

فإذا الله في كتابه رد على منكري البعث: **أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** [ق: ١٥] يعني هل أعجزنا ابتداء الخلق حتى يشكوا في الإعادة؟ هل أعجزنا؟ هل أرهقنا؟ هل أتعبنا؟ هل كلفنا؟ **أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ؟** ما عيينا به، ولا تعبنا، ولا لغوب، ولا مس الله شيء من لغوب، خلقهم بأيسر، يعني إن ذلك على الله يسير، قال تعالى: **بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** ابتداء الخلق لم يعجزنا، والإعادة أسهل منه.

وكذلك قوله:

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ [الزخرف: ٨٧].
 أنتم تعرفون أن الله خلقكم، والإعادة أهون من الخلق وهو بَكْلٍ خَلْقٍ
 عَلِيمٌ [يس: ٧٩].

وفي آية ترد عليهم لما يأتي الواحد يقول طيب خلاص أكلته الأرض
 خلاص؛ ماذا قال الله؟ في قضية أكل الأرض للأموات قال الله: قَدْ
 عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ [ق: ٤] ترى هذه فيها
 رد قوي بليغ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ.

هذه الدودة الأرض وتأكل أجساد الموتى، يتحلل، تتحلل أجساد
 الموتى ودودة الأرض تأكل الأجساد، كل دودة كم تأخذ؟ ونسبة تحلل
 الأجساد في تراب الأرض، ولما يذوب الجسد ويصير أملاحا ويرجع مرة
 أخرى، ويختلط بتراب الأرض ويعود كما كان ترابا، الله يعلم هذا
 التحلل لأجساد الموتى، كم مقداره؟ كم ينقص؟ وكم منه يعود إلى
 التراب؟ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ [ق: ٤] ما تأكل الأرض من
 أجسادهم بعد الموت.

ترى فيها رد بليغ.

القيام من النوم، النوم مودة صغرى، فالاستيقاظ العودة إلى
 الحياة الكاملة بعد النوم، هذا أيضا فيه آية أن في ذلك لآية: وَمِنْ
 آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ [الروم: ٢٣] حتى المنام هذا وكيف يعني
 يتوفاهم بالليل: وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ
 [الأنعام: ٦٠].

أَوَّلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
[العنكبوت: ١٩].

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ
الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [العنكبوت: ٢٠].

وقال: وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى يعني: الخلقة الأولى ما كنتم شيئاً
كنتم عدماً **فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ** [الواقعة: ٦٢] لولا تذكرون قدرة الله على
إعادتكم، وأن الذي أنشأكم أول مرة قادر على أن يعيدكم.

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أَخْرَجَ حَيًّا [مريم: ٦٦] يستبعد،
ينكر، يكذب، الإنسان يعني: الكافر، **أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ
مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا** [مريم: ٦٧] هذه ردود إلهية، غير لو يجي واحد
يخترع رد، هذه الردود المفحمة.

ثم قال الله في سورة الإسراء في ردود متقدمة جدا على مكذبي البعث
يعني: **وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاتًا الرِّفَاتِ: الْأَجْسَادُ الْبَالِيَةَ خَلَّاصَ
بَلِيَّتِ: أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاتًا إِنْنا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** [الإسراء: ٤٩]

يستبعدون استفهام إنكاري، شف الرد، رد والله شيء يعني حتى
يمكن ما يخطر بالبال **قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا** [الإسراء: ٥٠] أنتم
الآن تستبعدون البعث تقولون: عظاما ورفاتا بليت ونخرت، عظام
نخرة: **قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ
بِالسَّاهِرَةِ** [النازعات: ١٢-١٤] في أرض المحشر زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ النفخ النفخة
الثانية فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ أرض المحشر،

قال الله: **قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا** أنتم تستبعدون البعث تقولون: لحم وعظم بلي، وصارت العظام نخرة، والجسد بلي، واللحم راح كيف يرجع؟ **قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا** كونوا شيئاً لا يهترئ ولا يبلى، لو كانت أجسادكم من الحجارة من الصخر الذي لا يبلى، شف الجبال منذ أن خلقها الله في الأرض باقية ما صارت نخرة وبلت وذهبت، موجودة، أو من حديد، والحديد ممكن يبقى بعوامل معينة، وبعضه يصدأ ويذهب: **قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ** [الإسراء: ٥٠ - ٥١] كالجبال، يعني شيء كبير في نفوسكم، لو كانت أجسادكم من الحجارة أو من الحديد أو من الجبال الله سيعيدكم، **قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** [الإسراء: ٥٠-٥١] لو كانت أجسادكم من مادة السماء، شفتوا الجبال، خلوا أجسادكم منها، شفتوا الصخور الحجارة خلوا أجسادكم منها، أو الحديد ستبعثون ستبعثون.

افرض أنك أنت جسدك صخرا حديدا ومت وسلب الله روحك، وجسدك ما بلي ولا اهترأ، ولا أكلته الأرض **فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا** [الإسراء: ٥١]؟ شف يعني هذه سبحان الله، هذا رد خلاص ماذا سيفعل الكافر؟ يعني خل جسدك صخرا؟ صخر ما تأكله الأرض بعد الموت ستسحب الروح وستموت، **فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**؛ لأنه قادر على الإعادة، **وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى**

أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء: ٥١-٥٢].

سبحان الله! والله يعني ما مررت بهذه أنا أقول كيف القرآن فيه ردود مفحمة خلاص أفلسوا، انتقلوا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ [الإسراء: ٥٠-٥١] انتقلوا إلى إيش مَن يُعِيدُنَا ، مَتَى هُوَ خلاص صارت الأسئلة في مربع آخر، مسألة طبعا إنكار البعث والرد عليهم في هذه يطول بس نحن الآن هذا فقط، يعني شيء مما ورد في الكتاب والسنة تطمئن به نفوس المؤمنين، ويتزود به الدعاة في مواجهة المكذبين، لوجاءك واحد يناقشك على شبكة الإنترنت، لا، وما في حياة وخلص، وهذه النهاية، وكل شيء.

الدهريون الدنيويون: وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ [الجاثية: ٢٤] ما في بعث، أرحام تدفع، وأرض تبلع؛ خذ أدلة وحجج.

سوء أدب بعض العباد مع رب العباد

الشرط الثاني من الحديث قال: وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد .

الصمد: الذي تصمد إليه المخلوقات في حاجاتها، يصمد إليه الخلائق بالذل والافتقار، وقد كمل في علمه وحكمته وحلمه وقدرته وعظمته ورحمته -سبحانه-.

هذا الصمد السيد الذي كمل في سؤدده، العظيم الذي كمل في عظمته، الصمد الذي تصمد إليه الخلائق وتحتاج إليه، الصمد الذي ليس بأجوف، الإنسان له جوف في فراغات، جوا البطن ذا جوف، والله -عز وجل- ليس بأجوف -سبحانه-، فإبليس لما خلق آدم طاف به قبل أن تنفخ فيه الروح، ولما رآه فيه هيكل ومجوف من داخل علم أنه خلق لا يتمالك، يعني المجوف يموت يذهب.

إذن، تكذيبهم إياه قالوا لن يعيدنا؟

الشتيمة: أنهم قالوا: الله تزوج مريم، وأنجب عيسى -تعالى الله عن قولهم- جعلوا له صاحبة وولدا: **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا** [مريم: ٨٨-٩١]، **إِدًّا: أي منكرا عظيما، كادت السماوات والأرض والجبال تذهب وتنهد وتتفطر وتنشق من هول ما قالوا؛ لأن السماوات والأرض والجبال تعرف ربها الذي خلقها، ويروعاها هذا الادعاء.**

وهذا يبين أن الجمادات تشعر بعظمة الله، وحتى بالشرك الذي يحدث، الله أخبرنا عن ذلك قال: **لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا** [مريم: ٨٩-٩٤].

قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ [يونس: ٦٨] ما يحتاج ولد، ليش يحتاج ولد؟ ليش يكون له ولد؟ ليش هل هو مثلكم؟ هل هو مثلكم؟ أنتم تنجبون الأولاد تحتاجون إليه غدا ولدك يحملك وينفق عليك ويعينك، وإذا كبرت وصرت عاجزا وصرت مسنا محتاجا يقوم بك، واستمرارا لك من بعدك؛ لأنك ستنتهي وتموت، وهذا ذريتك وخلفك أنت تحتاج للولد، الله لا يحتاج إلى ولد قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا [يونس: ٦٨] عندكم دليل؟ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [يونس: ٦٨]؟

والله شف الآيات كيف توبخ النصارى توبيخا بليغا -سبحانه-: وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [البقرة: ١١٦-١١٧].

فالذي له ملك هذا كله ويتصرف كيف يشاء ويخلق بالكلمة: كُنْ فَيَكُونُ يحتاج إلى ولد يا أيها النصارى؟ يا أيها المشركون، يا أيها الكفرة.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ [المائدة: ١٧]، مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا إِيَّاش؟ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ [المائدة: ٧٥]، ويش يعني يأكلان الطعام، يعني أنهم بشرويعني بعد الطعام أيش فيه؟ فيه إخراج وفضلات،

هذا ابن الله؟! يأكل الطعام ويخرج فضلات؟

شف الرد أصلا -سبحان الله العظيم- على هذه الديانة، هذه النصرانية، هذه يعني ما أهمهم، وما أهتمهم لله، وما أشد إizardهم لربهم، ما في، سبحان الله **إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا** [المائدة: ١٧].

شف هذا رد يعني رد آخر، المسيح عند الله إيش **كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** [آل عمران: ٥٩] مخلوق، يعني عيسى مخلوق، مخلوق كمثال آدم، ثم تقولون: ابنك، الابن، سبحان الله، يعني كلما تنظر في نوع من كفر البشرية إلا وتجده قبيحا سخيفا، لا عقل ولا نقل ولا دليل ولا برهان.

الواحد إذا تأمل في أقوال أهل الكفر والباطل أنه يحمد ربه أنه جعله مسلما، والله العظيم: الحمد لله، الحمد لله نحن مسلمون، نقول: **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** [الإخلاص: ١-٤] ما نقول المسيح هو الله، المسيح ابن الله، المسيح ثالث ثلاثة، مريم زوجته وعيسى ولده -تعالى الله عن قولهم- يجعلون الله كالbشر، يعني يتزوج وشهوة ووطئ وحمل وولد، يعني ما هذه الفكرة السخيفة -سبحان الله العظيم- حقيرة، يشتمون الله شتما، وبعدين يزعمون أنهم يعظمون الله، بالله عليكم هذا دين هذا؟ هذا دين يفشل، والله الواحد يمشي كذا في الأرض، ويعتقد أن لله ولد وصاحبة، يعني غاية في السخف، أعوذ بالله تشوف واحد

يعني يدين بهذا الدين، تقول إيش التخلف هذا؟ وإيش العقلية؟
إيش هذا الاعتقاد السخيف؟

سبحان الله! ما هو بحاجة لا لزوجة ولا لصاحبة ولا ولد، وقام كفره
مشركو الجن من العرب إيش قالوا: تزوج من سروات الجن، وأنجب
الملائكة، الملائكة بنات الله، تراهم الكفار يأخذون من بعض ينسخوا
من بعض، هذه بعض اعتقادات العرب، تجعلون لله البنات،
وتصطفون أنتم تلك.

الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى [النجم: ٢١]، **قِسْمَةٌ ضِيزَى** [النجم: ٢٢].

الله حلیم صبور سبحانه يشتمونه ويرزقهم ويعافهم، له ولد،
الملائكة بناته، عيسى ابنه، وهو يرزقهم ويعافهم، شف الحديث والله
هذا الحديث يعني حديث عظيم، يعني كيف يعني لا أحد أصبر على
أذى سمعه من الله، لا أحد أصبر، لا أحد أصبر على أذى سمعه من
الله.

طبعاً في ملاحظة أن الإيذاء طبعاً ذكر في الحديث هنا كذبي ابن آدم
ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك هل التكذيب والشتيمة
تضر الله؟

أبداً، أبداً سيأتي معنا يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وكلها باب واحد،
ترى يعني تكذيبهم لله وشتيمهم لله وإيذاؤهم لله لا يضره أبداً، ولا
يلحق به -سبحانه- أي ضرر من وراء هذه الشتيمة أو الإيذاء أو
التكذيب، شف بابها واحد يؤذيني ابن آدم يسب الدهر أما تكذيبه

يعني يدين بهذا الدين، تقول إيش التخلف هذا؟ وإيش العقلية؟
إيش هذا الاعتقاد السخيف؟

سبحان الله! ما هو بحاجة لا لزوجة ولا لصاحبة ولا ولد، وقام كفره
مشركو الجن من العرب إيش قالوا: تزوج من سروات الجن، وأنجب
الملائكة، الملائكة بنات الله، تراهم الكفار يأخذون من بعض ينسخوا
من بعض، هذه بعض اعتقادات العرب، تجعلون لله البنات،
وتصطفون أنتم تلك.

أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى [النجم: ٢١]، قِسْمَةٌ ضِيزَى [النجم: ٢٢].

الله حلیم صبور سبحانه يشتمونه ويرزقهم ويعافهم، له ولد،
الملائكة بناته، عيسى ابنه، وهو يرزقهم ويعافهم، شف الحديث والله
هذا الحديث يعني حديث عظيم، يعني كيف يعني لا أحد أصبر على
أذى سمعه من الله، لا أحد أصبر، لا أحد أصبر على أذى سمعه من
الله.

طبعاً في ملاحظة أن الإيذاء طبعاً ذكر في الحديث هنا كذبي ابن آدم
ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك هل التكذيب والشتيمة
تضر الله؟

أبدا، أبدا سيأتي معنا يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وكلها باب واحد، ترى يعني تكذيبهم لله وشتيمهم لله وإيذاؤهم لله لا يضره أبدا، ولا يلحق به -سبحانه- أي ضرر من وراء هذه الشتيمة أو الإيذاء أو التكذيب، شف بابها واحد يؤذيني ابن آدم يسب الدهر أما تكذيبه إياي فقلوله لن يعيدني كما بدأني وأما إيذاؤه وشتمه يقول: إنا لله ولد، وأما شتمه إياي فقلوله: اتخذ الله ولدا.



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظِيمُ الْعَالَمِينَ

الدرس التاسع عشر

التفكر في خلق السماوات
والأرض

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الحديث التاسع عشر

قوله ﷺ: لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] الآيات كلها [رواه ابن حبان: ٦٢٠، وجود إسناده العلامة الألباني - رحمه الله -].

شرح الحديث التاسع عشر

هذا الحديث له مناسبة؛ سئلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن أعجب ما رآته من رسول الله ﷺ فقالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: يا عائشة ذريني أتعبد لربي؟ قالت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما

رآه يبكي، قال: يا رسول الله لم تبك وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها؛ لأن نحن نريد أن نعرف الآن ما هو سبب بكاء النبي ﷺ؟ ما هو سبب هذا البكاء العظيم بل لحيته وحجره والأرض؟ ما هذا الذي جعله يبكي كل هذا البكاء بكل هذه الدموع؟ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها؛ ما هي؟

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ [آل عمران: ١٩٠]، وذكر التكملة قال عبد الرحمن بن سليمان راوي الحديث: سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن، وما ينجيه من هذا الويل؟

الراوي لما سمع الحديث أيضا صار عنده خشية، صار عنده خوف، ويريد مخرجا، يعني طيب ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها، طيب كيف الواحد ينجو من هذا الويل؛ لأن ويل معناه فيه عذاب؛ لأنه تهديد ووعيد فما هو أدنى شيء؟ أقل شيء الواحد إذا فعله مع هذه الآية ينجو من الويل، ماذا قال الأوزاعي، أطرق هنية يفكر يعني الأوزاعي السؤال سؤال حساس ووجيه وخطير، إيش أدنى شيء الواحد إذا سواه مع الآية هذه ينجو من الويل؟ ثم قال الأوزاعي: يقرأهن وهو يعقلهن، قال على الأقل يعرف التفسير، إذا تبغي تنجو من الويل؛ لأنه في تهديد

فلا بد أن تقرأها، وأن تعرف معناها وتعرف تفسيرها، فهذا فيه تأكيد علينا أن نعرف تفسير هذه الآيات من آخر سورة آل عمران، أنه يا مسلم يا مسلمة ارجع إلى تفسير هذه الآيات؛ لأن في هناك تهديد لمن "ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها" طيب كيف ننجو؟ قال على الأقل أنك تعرف تفسيرها على الأقل.

وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل في تهجد، من قوله: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** [آل عمران: ١٩٠] إلى آخر السورة [رواه البخاري: ٤٥٧٠، ومسلم: ٧٦٣].

قال العلماء: يستحب للمستيقظ من نومه أن يتلو هذه الآيات اقتداء بالنبي ﷺ؛ لأنه يبتدئ بعظمة ربه، ثم ذكر الله؛ ولأجل ذلك أوردنا هذا الحديث في هذه الأربعين؛ لأن الآيات هذه تدل على عظمة الله؛ لأنهم يتفكرون في **خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** [آل عمران: ١٩١]، هؤلاء قالوها بعد: **يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** [آل عمران: ١٩١]، **وَرَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا** [آل عمران: ١٩٣]، **وَالآنَ يَلْتَمِسُونَ الثَّوَابَ وَكَفَّرْنَا عَنْ سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ** [آل عمران: ١٩٣]، **وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** [آل عمران: ١٩٤].

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [آل عمران: ١٩٠] في إيجادهما وإنشائهما من العظيم -سبحانه- على هذا الإبداع وهذا الإحكام، هذه دالة على عظمته، فالسماوات على اتساعها وارتفاعها وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والكواكب السيارة والزينة والأرض في انخفاضها وبسطها وتذليلها، وما فيها من البحار والجبال والقفار والنبات والأشجار والثمار والدواب وأنواع المعادن، واختلاف الليل والنهار، تعاقب الليل والنهار، تفاوت الليل والنهار؛ من الظلمة إلى النور والطول والقصر، واختلاف الجو حرا وبردا ورخاء وشدة، والزمان وما فيه عزا وذلا، وهزيمة ونصرا وسعة وضيقا وصحة ومرضاً؛ كل هذا فيه مجال العباد للتفكر والتدبر والتبصر لآيات واضحة، وبراهين قاطعة وساطعة على عظمته -سبحانه- الذي يتفكر فيها تشهد على عظمة الله، يطلع أن الله هو العظيم، لا إله إلا هو، لآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ أصحاب العقول الصافية النقية: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ [آل عمران: ١٩١].

هذه الآيات فيها عبادة للقلب ولللسان وللجوارح أين هذه العبادات هذه الثلاث في الآية؟ أين هي العبادات الثلاث اللسان والقلب والجوارح؟

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [آل عمران: ١٩١] هذه عبادة قلب.

عبادة اللسان: رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران: ١٩١]، و ربنا ، و ربنا .

الجوارح: قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ [آل عمران: ١٩١] **يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ، وهذا يشمل الصلاة، وقيام الليل. ومن اللطائف: أن الله لما ذكر الدلائل الإلهية والقدرة والحكمة وهو ما يتصل بتقرير الربوبية ذكر بعدها ما يتصل بتقرير العبودية، وأصناف العبودية ثلاثة: التصديق بالقلب، الإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، **يَذْكُرُونَ اللَّهَ عِبُودِيَّةَ اللِّسَانِ، قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** [آل عمران: ١٩١] **عِبُودِيَّةَ اللِّسَانِ وَالْأَرْوَاحِ وَالْأَعْيَانِ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** [آل عمران: ١٩١] عبودية القلب، وما للإنسان إلا هذا المجموع، فإذا صار مستغرقا في الذكر باللسان، والشكر بأركانه وجوارحه والجنان، الفكر بالجنان كان هذا في عبودية لله دائما.

هؤلاء المتفكرون لما يستشعرون عظمتهم -سبحانه-: **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ**

هَذَا بَاطِلًا [آل عمران: ١٩١] اعتراف ليس هناك عبث، ليس خلق بلا حكمة، بل لأمر عظيم جليل: مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ [الدخان: ٣٩]، ليعبد الله.

سُبْحَانَكَ عَنِ النِّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، وادعاء الولد، فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [آل عمران: ١٩١-١٩٢] وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [آل عمران: ١٩٢] يمنعون عنهم عذاب الله.

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ [آل عمران: ١٩٣] والأنبياء، وهذا الكتاب الذي يشهد، والمنادي هو النبي ﷺ سماه الله داعيا: وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ [الأحزاب: ٤٦].

لما صارت الخشية بعد النظر في العظمة وشهود القلب لعظمة الرب بآياته المسطورة في القرآن، والمنثورة في الأكوان، جاءت الأدعية الدالة على التأثر: رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا [آل عمران: ١٩٣] اعف عنها، وتجاوز، وامح الآثار الذنوب والمعاصي الصغار والكبار وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا واسترها، التكفير: الستر والتغطية، وَتَوَفَّنَا اقْبِضْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ فِي ثَوَابِهِمْ أَعْمَالِهِمْ فِي جَزَائِهِمْ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ مِنَ النِّعَمِ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ [آل عمران: ١٩٤] لا تفضحنا يوم يقوم الأشهاد، ويجتمع الخلائق إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ* فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ [آل عمران: ١٩٤-١٩٥].

هذا حديث عظيم جدًا في بيان تأثير المؤمنين بعظمة الله -تعالى-، وما ينتج عن ذلك من العبادة المتنوعة بالقلب واللسان والجوارح، ومن الأدعية العظيمة الخشية أورثتهم هذه الأدعية العظيمة.



الآن نعوذ

في

عظمة رب العالمين

الشيخ

محمد صالح المنجد



عَظِيمُ الْعَالَمِينَ

الدرس العشرين

الله هو المتصرف في الكون
وحده

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الحديث العشرين

عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: "صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء -يعني مطر- كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا سقوط أو طلوع نجم كذا وكذا، أو غياب نجم كذا وكذا، فذلك كافر بي، ومؤمن بالكوكب [رواه البخاري: ٨٤٦، ومسلم: ٧١]."

شرح الحديث العشرين

كانت عبادة الكواكب نوعاً من الانحراف الذي حدث في البشرية عن توحيد الله، ونوعاً من الكفر والشرك الذي طرأ عليها، والشيطان يزين للبشر أشياء، فمنها عبادة الأشياء الكبيرة؛

والكواكب مثال، أو عبادة ما ينفعهم؛ يعبدونها لمنفعتهم لهم؛ كالشمس والقمر والنجوم، مثلاً النجوم يستدلون بها على الاتجاهات، **وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** [النحل: ١٦]، ومن قديم ألقى الشيطان في نفوس بعض البشر اعتقاد أن للنجوم تأثيراً في الحوادث الأرضية، إذا طلع النجم الفلاني، إذا غاب النجم الفلاني، يموت عظيم، يولد عظيم النجم، هذا يؤثر في حروب، يؤثر في ولادة، يؤثر في رزق، يؤثر في نزول مطر، ونحو ذلك، وأن النجم هذا، يعني كائن له إرادة وفعل وتأثير وتحكم.

هذه الفكرة ألقاها الشيطان في نفوس بعض البشر قديماً، ولا زالت في الجاهلية تتوالى حتى كانت الجاهلية التي بعث فيها النبي ﷺ وإذا بأعداد من العرب عندهم هذه العقائد أن النجوم تؤثر في الأرض، وتتحكم، ولها أفعال وتخلق.

محاربة النبي - صلى الله عليه وسلم - لآثار الجاهلية

والنبي ﷺ كان يحارب آثار الجاهلية في نفوس أصحابه، وفي نفوس الناس عموماً، وكان يستثمر الأحداث والمواقف لأجل ذلك في تربية الصحابة على العقيدة الصحيحة، أو تصحيح خطأ يتعلق بالعقيدة، أو التذكير بالآخرة، أو التزهيد بالدنيا؛ كما هو واضح من مواقفه ﷺ في اغتنامه للأحداث في هذا.

يوم من الأيام في ليلة من الليالي نزل مطر في طريق السفر في الحديبية صباح اليوم التالي أصبح النبي ﷺ صلى الفجر بالصحابة، وإذا بهم يسمعون منه كلاماً عجيباً مؤثراً قوياً، يرويه عن ربه: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ لما صلى وأقبل على الناس؛ قالوا: والله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر يعني في الصباح انقسموا إلى قسمين: مؤمن وكافر، ما الأمر؟ من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته على المطر الذي نزل في الليل من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته هذا مؤمن بالله كافر بالكوكب، يعني لا يعتقد أن للكوكب تأثيراً، ولا أن الكوكب ينزل المطر، ولا أن الكوكب يتحكم في هذا، وقد ذكر الله هذه المسألة من مسائل توحيد الربوبية، **وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ** [الشورى: ٢٨]، **وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ** [الفرقان: ٤٨]، **فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** [الروم: ٥٠].

فإذن، من الذي ينزل الغيث؟ الله، من الذي يحيي الأرض بعد موتها؟ الله، من الذي ينبت الزرع؟ الله.

حكم من قال: ((مطرنا بنوء كذا))

ومن قال: مطرنا بنوء كذا كان في ناس لما نزل المطر، قالوا: مطرنا بالنجم الفلاني، بنوء كذا، بطلوع النجم الفلاني، على عادتهم في الجاهلية، فأخبر النبي ﷺ أن هذا مؤمن بالكوكب كافر

بالله، الذي يقول هذا، فصار الأمر إذن دائراً بين، يعني فيها تفصيل المسألة: من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته هذا موحد مؤمن بالله، ومن قال: مطرنا بنوء كذا ففي الحكم عليه تفصيل، فإن كان يعتقد أن الكوكب أو النجم يتصرف ينزل الغيث يفعل ويفعل، فهذا كافر مشرك بالله، وشركه شرك أكبر؛ لأنه اعتقد أن أشياء من الربوبية يفعلها غير الله الربوبية، يعني ما هي أفعال الرب: الخلق، الرزق، الإحياء، الإماتة، إنزال المطر، الشفاء، وهكذا.. هذه أشياء من أفعال الربوبية، إذا واحد اعتقد أن هناك كائناً أو مخلوقاً يمكنه أن يفعل ذلك، أو يفعل شيئاً من هذا، لا شك في أن هذا كفر أكبر مخرج عن الملة.

وإذا قال: إن النجم سبب وليس ينزل، يعني النجم لا يخلق المطر، إذا اعتقد أن النجم يؤثر ولا يفعل بذاته، يعني أن المطر لا يفعل بذاته، لكنه سبب في حصول المطر، الفاعل هو الله، والكوكب سبب، فهذا شركه شرك أصغر، واعتقاده حرام؛ لأن النجم ليس حتى سبباً، ليس النجم سبباً في نزول المطر، يعني الآن أنت لما تقول: والله أسباب نزول المطر، ممكن تقول: تسوق السحب، فتقول: في أسباب؛ الرياح، السحاب، لكن النجم الذي فوق ما علاقته؟ من الذي قال إنه سبب؟ أين التسبب في الموضوع؟ أين تسبب النجم أو الكوكب في نزول المطر، ما هي العلاقة؟ ما في علاقة.

ولذلك الذي يقول: إنا إنه سبب وليس فاعلا بذاته، نقول: أنت لست كافرًا خارجًا عن الملة، ولكن عندك شرك أصغر؛ لأنك جعلت ما ليس بسبب سببًا، شيء ما له علاقة بالموضوع أدخلته فيه، وكل من اعتقد سببًا لم يدل عليه شرع ولا قدر فهو شرك أصغر، فمثلا من لبس حلقة أو خيطًا لرفع البلاء أو دفعه ما حكمه؟

شرك؛ أكبر أو أصغر، حسب الاعتقاد إذا اعتقد أن هذا السوار مؤثر بنفسه من دون الله، فهو الذي يخلق الشفاء، ويخلق العافية، ويمنع كذا، ويدفع كذا، ويرفع كذا، هذا شرك أكبر مخرج عن الملة، نازع الله في توحيد الربوبية.

وإن قال: إن سوار الطاقة وإن هذا، يعني الخيط أو هذه الحلقة أو هذه التعويذة، أو هذا المعلق القلادة سبب في دفع العين، أو جلب الحظ؛ فشركه شرك أصغر.

طبعاً الشرك خطير أكبر أو أصغر: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ** [النساء:

٤٨]، **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** [لقمان: ١٣]، لكن الأكبر مخرج عن الملة،

الأصغر يبقى في الملة، يعني ما يخلد في النار، لكن الأكبر يخلد في النار.

فإذن، من قال: إن هذه النجوم مؤثرة بنفسها؛ ترزق تمطر تفعل هذا

شرك أكبر، ومن قال: إنها سبب ولم يجعلها الشرع سببًا، ولا حتى

الواقع والتجربة والخبرة والقدر ليست سببًا، إذن يكون شركًا

أصغر، فإذا كان كلام القائل نسبة إيجاد شرك أكبر، نسبة سبب

شرك أصغر.

وقد جاء في حديث آخر: لا عدوى، ولا هامة، ولا نوء، ولا صفر [رواه مسلم: ٢٢٢٠]، لا عدوى، ولا هامة، ولا نوء، ولا صفر علاقته بالموضوع في قوله: ولا نوء.

لا عدوى يعني: المرض لا يعدي بنفسه، والذي يقدر العدوى ويخلق العدوى الله، وروود المريض على الصحيح واحتكاكه به سبب للانتقال، لكن المرض لا يعدي بنفسه، المرض لا يخلق مرضاً آخر هناك، وفي الذات الأخرى في الشخص الآخر، الجراثيم لا تخلق، الفيروسات لا تخلق مرضاً، هذه أسباب، وقد قال إبراهيم: وَإِذَا مَرِضْتُ وَالْمَعْنَى يَمْرَضُنِي، لكن أدبا مع الله ما قال: يمرضني، قال: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي [الشعراء: ٨٠].

فإبراهيم الموحّد لربه كلامه وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي يعني: يمرضني ويشفيني، فالمرض منه، والشفاء منه، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي [الشعراء: ٨١] فالإماتة منه، والإحياء منه، يطعمني ويسقيني ويرزقني كلها منه.

ولا هامة الهامة: طائر يطير بالليل، كانت العرب تتشاءم به، وبعضهم يقولون: إن روح الميت تتحول إلى هذا الطائر، فروحه تصبح في هامة أو تصبح هامة، طائر يطير، وأن هذا اعتقاد باطل.

ولا نوء يعني: لا نوء ينزل المطر ولا يتصرف، ولا يؤثر في نزول المطر، فلا تقولوا: مطرنا بنوء كذا، الجاهلية يقولون: مطرنا بنوء كذا.

ولا صفر؟ يعني لا تشاؤم بشهر صفر، وكانت العرب تتشاءم به أوفيه ولياليه، ولذلك لا تسافرو ولا تبيع ولا تشتري ولا تتزوج في شهر صفر،

عندهم أن هذا شؤم. كلها اعتقادات جاهلية نفاها النبي ﷺ.

حكم قول: "هذا من سوء الطالع"

قريب من هذا قول بعض الناس إذا أصابه شيء سيء: هذا من سوء الطالع، وإذا حصل أمر سار قالوا: هذا من حسن الطالع، هذه تقرأونها في بعض كلام الصحفيين مثلاً، بعض التعبيرات التي يكتبها بعض الناس يقولون: من حسن الطالع كذا وكذا، ومن سوء الطالع كانت السيارة تسير؛ حسن الطالع، وسوء الطالع، أيش هذا الكلام؟ طبعاً بعض الناس يكتب ولا يدري، ما يعرف، يعني ما يتصور هذا، لكن الكلام خطير؛ لأن الطالع عندهم هو النجم الطالع في السماء، فهذا على عادة العرب، حسن الطالع وسوء الطالع، ولذلك جاء في "فتاوى اللجنة الدائمة": يحرم استعمال عبارتي: حسن الطالع وسوء الطالع؛ لأن فيهما نسبة التأثير في الحوادث الكونية حسناً أو سوءاً إلى المطالع، أيش الطالع؟ النجم الذي يطلع، وهذا النجم لا يملك لنفسه شيئاً، الله هو الذي يطلعه، وهو الذي يخفيه، وهو الذي يسيره، وهو الذي يصرفه، وليس طلوع هذا الطالع سبباً في شقاء ولا في سعادة، ولا في نحس ولا في خير؛ كله بيد الله، قال الله: **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** [الأعراف: ٥٤]، بيده الخير.

فإذا كان القائل يعتقد أن هذا الطالع فاعل بنفسه من دون الله

شرك أكبر، وإن قال: هذا سبب فهو شرك أصغر، تقدم هذا في "فتاوى اللجنة الدائمة" في فتاوى الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في "لقاء الباب المفتوح" قال عن هذه العبارة: "هذا من التنجيم الذي هو نوع من الشرك، وذلك لأن الطالع والغارب ليس له تأثير في الحوادث الأرضية، بل الأمر بيد الله، سواء ولد الإنسان في هذا الطالع أو في هذا الغارب، أو في أي وقت".

حكم تعلم علم النجوم

التنجيم محرم، وقد قال ﷺ: من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد [رواه أبو داود: ٣٩٠٥، وابن ماجه: ٣٧٢٦، وصححه النووي، والعراقي، والألباني، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، والشوكاني، والشيخ ابن باز-رحمه الله-، هذا الحديث صححه: من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد.

ما المقصود علماً من النجوم؟ هل يعني دراسة أبعاد النجوم، ولادة النجم، أو سطوع النجم، أو تحركات النجوم؟ هل هذا المحرم؟ لا، هذا ليس بمحرم، لكن من اقتبس علماً من النجوم المقصود به: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، إذا طلع الشيء هذا سيولد عظيم، إذا طلع هذا سيموت عظيم، إذا طلع هذا ستنشب حرب، هذا للخسارة، هذا ربح، هذا اعتقاد أن للنجوم أثر في الحوادث الأرضية، ولا علاقة لهذا بهذا أبداً، قال قتادة -رحمه الله-: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء" يعني: لولا

النجوم كانت السماء كلها سوداء، ما فيها شيء، موحشة مظلمة، لكن شف فيها النجوم جميلة، نجوم مرصعة، ترصع السماء قال: "ورجومًا للشياطين"، فيرجم الله بها كل من يحاول استراق السمع، "وعلامات يَهْتَدَى بها" هذه الفائدة الثالثة، مثل القطب الشمالي هذا إذا رآه التائه عرف الاتجاهات، بالنجم القطبي هذا يعرف الجهات الأربعة؛ لأنه يعرف خلاص هذا الشمال، خلاص إذن هذا الجنوب، وهذا شرق، وهذا غرب، وبالتالي يعرف أن يتوجه، قال قتادة: "فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به" رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم.

فإذا اعتقد أن النجوم والأجرام السماوية هي المدبرة الفاعلة، تحي تميت، ترزق تمطر، تعطي تمنع، تشقي تسعد؛ كفر بإجماع المسلمين، وإذا اعتقد شخص بأن الخالق المدبر هو الله، ولكنه جعل هذه أسبابًا فهذا شرك أصغر، قال الشيخ سليمان في "تيسير العزيز الحميد": اختلف في تكفيره على قولين".

حكم استعمال النجوم في الاستدلال على الأوقات والأزمان

ما حكم الاستدلال بالنجوم على الجهات والأوقات؟ جائز، وقد يكون واجبًا، مثال: لمعرفة القبلة إذا لم يكن له طريق إلا ذاك فيكون الاستدلال بالنجوم واجبًا: **وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** [النحل: ١٦].

لوقال واحد مثلاً: نريد أن نستعمل النجوم في الاستدلال على

الأزمان، إذا طلع النجم الفلاني دخل وقت السيل ودخل وقت الربيع، يعني في هذا الوقت عادة، يعني مثلاً يصير في سيول، تنبت الأرض، الفلاحون يزرعون الشيء الفلاني، الزروع الفلانية، البذور الفلانية، نقول: لا بأس، خلاص هذا صار قضية النوء الآن ظرفاً، بس مجرد أن يقول: هذا وقت الربيع إذا كان طلع النجم الفلاني الآن يشتد الحر، إذا طلع النجم الفلاني تهب الرياح، إذا طلع النجم الفلاني الآن وقت زراعة النباتات الفلانية، وهكذا.. فهذا الاستدلال بها على الأزمان لا بأس به؛ كما في "القول المفيد". وكذلك الاستدلال به على الأماكن كالشمال والجنوب والقبلة.

حكم البحث في أحوال الطقس

مسألة أخرى ما حكم البحث في أحوال الطقس، أوقات الكسوف والخسوف، السحب، علم السحب، هذه المنخفضات الجوية، الأرصاد الجوية، التوقعات المناخية، ما حكمه؟ جائز، بل مفيد، بل قد ينقذ البلد من كوارث، قد يكون سبباً في نجات ناس كثيرين، إذا تم الاستعداد لكارثة تقلل الخسائر جداً، أن يكون هناك يعني توقعات، لكن توقعات علمية، ما هو تخصص ضرب بالغيب، ضرب بالمندل، مثلاً يقولون: في منخفض جوي، هذا ترى منخفض مرتفع، المرتفعات الجوية، منخفضات الجوية، فمثلاً نقول: هناك مرتفع منخفض حرارة برودة، جاء من سيبيريا كذا، حسب اتجاه الرياح، حسب سرعة كذا، فإنه بالصورة الآن بالأقمار

الفضائية، صور الأقمار الفضائية، تقول: إن هناك مثلاً سحب ركامية تتجه إلى المنطقة الفلانية، ومتوقع نزول أمطار كذا، هذه السحب من النوع الفلاني، مثلاً في رياح أعاصير، هناك إعصار الآن تكون في عرض البحر على بعد كذا من اليابسة يسير بسرعة كذا، يتوقع وصوله إلى المدينة الساحلية الفلانية في الوقت الفلاني، خذوا حذركم، سيكون مصحوباً بأمطار، ما تطلعوا من البيوت، تحصنوا بكذا، اعملوا كذا.

هذه التوقعات المبنية على أسس علمية؛ سرعة الرياح، سرعة الإعصار، مكان الإعصار، اتجاه الإعصار، الوقت المتوقع لوصوله إلى المكان الفلاني؛ هذه أشياء علمية، فهذه مفيدة، والأخذ بها مفيد، ومن الحكمة، والحكمة ضالة المؤمن.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: قد يعرف وقت خسوف القمر وكسوف الشمس عن طريق حساب سير الكواكب، ويعرف بذلك كونه كلياً أو جزئياً، ولا غرابة في ذلك؛ لأنه ليس من الأمور الغيبية بالنسبة لكل أحد، بل هو غيبي بالنسبة لمن لا يعرف علم حساب سير الكواكب، وليس بغيبي بالنسبة لمن يعرف ذلك العلم؛ لكونه يستطيع أن يعرف بسبب عادي، وهو هذا العلم، فمعروفة مثلاً يعني حركة الأرض وحركة الشمس وحركة القمر، وينقع هذا في الظل هذا، وحساب المثلثات والمخروط، يعني هذه بالحسابات الرياضية متى يبدأ الكسوف أو الخسوف بالضبط، وهل هو جزئي أو كلي؟ ومتى سيكون كلياً؟ ومتى سينقشع الكسوف وينتهي؟ وفي أي بلد هنا هذا كله بالحسابات؛ لأن الله جعل حركة الشمس والقمر والأرض

كلها حركة موزونة، يعني في مسارات محددة بدقة، انتقال الأفلاك هذا من بديع صنع الله، وهذا يستفيد منه العباد، هذه المعلومات يستفيد منها العباد، حتى ميلان محور الأرض له فوائد عظيمة، ميلان محور الأرض.

وقالت اللجنة: لا ينافي هذا أن يكون الكسوف والخسوف آية من آيات الله يذكر الله بها عباده، يعني يوم القيامة كيف سيذهب ضوء الشمس ونور القمر: **فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ** [القيامة يومئذ: ٧-١٠] [فتاوى اللجنة].

وجاء فيها أيضاً معرفة الطقس أو توقعه بالرياح أو العواصف أو توقع نشوء السحاب، أو نزول المطر في جهة مبني على معرفة سنن الله الكونية، فقد يحصل ظن لا علم لمن كان لديه خبرة بهذه السنن عن طريق نظريات علمية، أو تجارب عادية عامة، فيتوقع ذلك ويخبره عن ظن لا علم، فيصيب تارة ويخطئ أخرى [فتاوى اللجنة الدائمة].

لذلك تراهم أحيانا يقولون مثلاً: الفرصة مهيأة بمشيئة الله لسقوط أمطار، بعدين يمكن ما تسقط، يتوقع كذا، ما هودائماً إذا أخبروا بشيء سيقع، يمكن في آخر لحظة تجي حاجة ما هي متوقعة، وتشيل السحب وتفرقها تبعثرها.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "ليس من الكهانة في شيء من يخبر عن أمور تدرك بالحساب؛ فإن الأمور التي تدرك بالحساب ليست من الكهانة في شيء، كما لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر، فهذا ليس من الكهانة؛ لأنه يدرك بالحساب، وكما

لو أخبر أن الشمس تغرب في عشرين من برج الميزان مثلاً في الساعة كذا، فهذا ليس من علم الغيب، وكما يقولون: إنه سيخرج في أول العام أو العام الذي بعده مذنب هالي، وهو نجم له ذنب طويل، فهذا من الكهانة في شيء؛ لأنه من الأمور التي تدرك بالحساب، فكل شيء يدرك بالحساب، فإن الإخبار عنه -ولو كان مستقبلاً- لا يعتبر من علم الغيب، ولا من الكهانة".

أيضاً هل من الكهانة ما يخبر به الآن مذيعونشرة الأحوال الجوية في خلال أربع وعشرين ساعة؟

الجواب: لا؛ ليس كذلك؛ يقول الشيخ ابن عثيمين: لأنه أيضاً يستند إلى أمور حسية، وهي تكيف الجو؛ لأن الجويتكيف على صفة معينة تعرف بالموازين الدقيقة عندهم؛ فيكون صالحاً لأن يمطر، أو لا يمطر، ونظير ذلك في العلم البدائي إذا رأينا تجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب، نقول: يوشك أن ينزل المطر.

فالمهم أن ما استند إلى شيء محسوس؛ فليس من علم الغيب، وإن كان بعض العامة يظنون أن هذه الأمور من علم الغيب، وهذا ليس صحيح، قال: "والشيء الذي يدرك بالحس إنكاره قبيح" يعني كيف واحد يرى شيئاً بعينه بعدين نقول له: لا، يقول: "إنكار ما استند إلى الحس قبيح، فالذي يعلم بالحس لا يمكن إنكاره، ولو أن أحداً أنكر مستنداً بذلك إلى الشرع لكان ذلك طعناً في الشرع"

[القول المفيد: ١/ ٥٣٢].

فإذن، هذا التسرع حرام إيش يسبب؟

لأن بعض الناس يكذب بالشرع يقولون: إيش فيها؟ ليش طيب؟، خلاص عرفنا الآن ما هو المحرم، وما هو المباح، ما هو الشرك الأكبر، وما هو الشرك الأصغر.